

قدري قلعجي
فيصل ومعركة الكرامة العربية
دار الكاتب العربي

قدري قلعجي



دار الكاتب العربي


فيصل ومعركة الكرامة العربية

مِن ضِفَّةِ الهَزيمَةِ إلى ضِفَّةِ النَصْر

« ليس هناك اثنان من العرب يختلفان على التحرر السياسي ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك التجمع العربي وضم الصفوف . أما الاساليب والخطط والمناهج التي تتبع لتنفيذ مثل هذه الاهداف ، فهذا هو محل الخلاف ، وهو بالتالي الذي أحدث الهزيمة » .

الدكتور حلمي مراد
في مجلس الشعب المصري

العودة الى الذات العربية والتراث العربي

من المشهور عن كلاوزويتز أبي الستراتيجية العسكرية الحديثة ، نعته الحرب بكلمات قليلة لكنها ذات مدلول يأخذ في المدى اتساعاً ، وفي المضمون عمقاً ، حتى لتكاد تأخذ من الحياة أحد وجهيها ، مطلةً بآن واحد على الوجه الآخر .. قال رجل الوغى الطامح الى السلام : « ان الحرب استمرار للعمل السياسي بوسائل أخرى .. » .

ونحن كأمة عربية ما تزال في غمرة الصراع مع دولة العدوان والغصب والاستعمار الاستيطاني ، نحيا هذه الكلمات المضيئة حرفاً حرفاً ، كما نحيا نقيضها لحظة لحظة .. اذ يمكن بكل سهولة أن نقلب وجه هذا الدينار الذهبي العالمي ، فنقرأ على طرفه الآخر : « ان العمل السياسي استمرار للحرب بوسائل أخرى ... » ولن يختلف معنا المضمون أو يتعارض المحتوى .

وفي العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ (٦ تشرين الأول ١٩٧٣) نطقت المدافع بعد طول صمت ، وأزت الطائرات ، وهدرت الدبابات ، وكان للصواريخ انقضاضاتها ، ولم يأل السلاح البحري جهداً وهو يتقلب على سطح الماء ويمخر العباب لافظاً النار وكرات اللهب .. لكن الأهم من ذلك كله ، ان الانسان العربي قد تحرك ، والشعور القومي قد تجسد ، والارادة

العربية قد تحررت ، والاحساس الديني قد وجد تعبيره الصحيح متقدماً الصفوف عامراً الصدور .. فالذين عبروا من ضفة الهزيمة الى ضفة النصر في قناة السويس ، والذين اقتحموا حصون العدو في الجولان ، كان هدفهم فلسطين وحدها ، وكان شعارهم الوطن وحده ، وكانت صيحتهم المالئة لشعاب النفس بالايمان ، والموحية بالعزيمة والاقدام ، والحافزة على التضحية ونكران الذات :

ـ الله أكبر ! ...

لم تتردد في جو المعركة تلك الاناشيد المفتعلة عن الثورة والثوار ، ولم نسمع من الاذاعات تلك الشعارات الفارغة عن اليمين واليسار ، ولم يذكرنا القادة بمواقف لينين وغيفارا وماو تسي تونغ ، ولم يحدثنا المنظّرون عن «الثورة» التي هي فوق الوطن و«النظام» الذي هو أهم وأقدس من الأرض .. لأن الجميع أدركوا ، بعد الهزيمة المخزية ، انه لن يمحو عارها ويزيل آثارها ، إلا العودة الى الذات العربية والتراث العربي والينابيع العربية الاصيلة ، فكرية وروحية وخلقية ، والا وحدة الصفوف ، وحشد القوى ، وتضامن الفعاليات ، وتآزر الطاقات ، في جبهة واحدة لا هدف لها سوى مواجهة العدو الغادر بمثل ما يواجهنا به من وحدة قومية متراصة ، وعقيدة روحية حافزة ، فالمعركة بيننا وبينه هي معركة قومية ودينية ، وكل ما عدا ذلك من شعارات غريبة وفلسفات مريبة ، انما هو سلاح للعدو يوجه الى صدورنا ، كي تتمزق منا الصفوف ، وتتبعثر القوى ، وننشغل بمحاربة بعضنا بعضاً ، وتمزيق مجتمعاتنا شر ممزق ، ونشر البلبلة والضياع بين أبناء شعوبنا ، بينما العدو يعمل ويتكتل ، ويجدّ ويستعد .

السادات : ليس هذا الظرف مباراة بين الاجتهادات

أجل لم نسمع في حرب العاشر من رمضان تلك الأصوات النابية والصرخات المتشنجة التي جرتنا الى الهزيمة ، ودفعتنا اليها دفعاً ، وكوت قلوبنا بنارها ولطخت جباهنا بعارها ، ولكننا سمعنا الرئيس السادات يقول :

« ... لقد كان الليل طويلاً وثقيلاً ، ولكن الأمة لم تفقد ايمانها أبداً بطلوع الفجر ، واني لأقول بغير ادعاء ان التاريخ سوف يسجل لهذه الأمة أن نكستها لم تكن سقوطاً وانما كانت كبوة عارضة ، وان حركتها لم تكن فوراناً وانما كانت ارتفاعاً شاهقاً . لقد اعطى شعبنا جهداً غير محدود ، وقدم شعبنا تضحيات غير محدودة ، وأظهر شعبنا وعياً غير محدود ، وأهم من ذلك كله ، أهم من الجهد والتضحيات والوعي فان الشعب احتفظ بايمان غير محدود . كان ذلك هو الخط الفاصل بين النكسة وبين الهزيمة . ولقد كنت أحس بذلك من أول يوم تحملت فيه مسؤوليتي ، وقبلت راضياً بما شاء الله أن يضعه على كاهلي .

« كنت أعرف ان ايمان الشعب هو القاعدة ، واذا كانت القاعدة سليمة فان كل ما ضاع يمكن تعويضه ، وكل ما تراجعنا عنه نستطيع الانطلاق اليه مرة أخرى . وبرغم ظواهر عديدة بعضها طبيعي وبعضها مصطنع من تأثير حرب نفسية وجهت الينا ، فقد كان سؤالي لنفسي ولغيري في كل يوم يمر ، هل القاعدة سليمة ؟ وكنت واثقاً انه ليس في قدرة أية حرب نفسية مهما كانت ضراوتها ، ان تمس صلابة هذه القاعدة ، وما دامت القاعدة بخير فان كل شيء بخير ، وغير ذلك لن يكون الا زوبعة في الفنجان كما يقولون .

« ... كنت أعرف ان الأمم العظيمة عندما تواجه تحدياتها الكبرى ،

فانها قادرة على أن تحدد لنفسها اولوياتها بوضوح لا يقبل الشك ـ كنت مؤمناً بسلامة وصلابة دعوة القومية العربية، وكنت مدركاً بالتفاعلات المختلفة التي تحرك مسيرة أمة واحدة ، ولكنني كنت واثقاً من ان وحدة العمل سوف تفرض نفسها على كل القوى ، وعلى كل الأطراف ، وعلى كل التيارات ، لأنها جميعاً سوف تعني ان هذا الظرف ليس مباراة بين لاجتهادات ، وانما هو الصراع بين الفناء والبقاء لأمة بأسرها .. وأحمد الله

« ... ربنا كن لنا عوناً وهدى .. ربنا وبارك لنا في شعبنا وفي أمتنا .. ربنا انك وعدت ، ووعدك الحق : ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدا مكم » .

الأسد : عودة الى التقاليد العربية المجيدة

وسمعنا الرئيس حافظ الأسد يخاطب المواطنين بقوله :

« إنكم أبناء أمة عرفت على مدى التاريخ بمواقف الرجولة والاباء ، بمواقف البطولة والفداء ، أبناء أمة حملت رسالة النور والايمان إلى أصقاع الأرض ، وشهد لها العالم قاطبة بأسمى الصفات وأنبل الأخلاق .

« فيا أحفاد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، يا أحفاد خالد وأبي عبيدة وعمرو وسعد وصلاح الدين ، ان ضمير أمتنا ينادينا ، وأرواح شهدائنا تستحثنا ، ان نتمثل معاني اليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت ، وان جماهير أمتنا من المحيط الى الخليج تشخص بعيونها وأفئدتها الى صمودنا العظيم ، وكلها أمل وثقة بأننا الى النصر سائرون .

« يا جنودنا وصف ضباطنا وضباطنا البواسل

« نحن أصحاب حق وأصحاب قضية عادلة ، والله ينصر من كان على

حق ، وكان عن حقه ذائداً مدافعاً . انكم اليوم تدافعون عن شرف الأمة العربية . وتصونون كرامتها ، وتحمون وجودها ، وتضحون كي تحيا الأجيال القادمة هانئة مطمئنة .

« وتشاء ارادة العلي القدير أن يكون جهادكم في هذا اليوم من أيام الشهر الفضيل ، شهر رمضان ، شهر الجهاد ، شهر غزوة بدر ، شهر يوم الفتح ، شهر النصر ، صفحة ناصعة في تاريخ قواتنا المسلحة تضيفها الى العديد من صفحات البطولة والفداء التي سطرتها بدماء الشهداء الأبرار في تاريخ قطرنا ووطننا .

« لقد انتصر أجدادنا بالإيمان ، بالتضحية ، بالتسابق على الشهادة دفاعاً عن دين الله ورسالة الحق . وانكم اليوم ببطولاتكم وشجاعتكم ، انما تستلهمون هذه الروح وتحيونها ، وتحيون بها التقاليد العربية المجيدة » .

ماذا فعلت الاشتركية بنا ؟

وسمعنا أصواتاً حرة ترتفع في مجلس الشعب المصري تنتقد الأوضاع التي أدت إلى النكسة وتطالب الرئيس السادات بمواصلة التصحيح الكامل حتى تزول تلك الأوضاع نهائياً ، ومنها صوت الدكتور حلمي مراد الوزير السابق الذي قال بصراحة واخلاص : « اذا لم نستطع ان نقضي على الجرائيم التي أدت الى حدوث الهزيمة ، فانها ستظل كامنة في جسم الأمة العربية ، وستتكرر الهزيمة اذا ما التحمنا بالعدو مرة أخرى لنفس الأسباب ، وكل ما أطالب به هو البحث عن أسباب الهزيمة من الناحية الموضوعية التي أدت الى وقائع معينة تسببت في الهزيمة » ثم قال ان الرئيس السادات كان قد بدأ بمعالجة تلك الأسباب «وبدأت عملية التصحيح بازالة مراكز القوى ، ثم

حدث تجميد للأوضاع ترتب عليه عدم السير في التصحيح حتى نهايته ، حتى ان بعض القرارات الحكيمة التي اتخذها الرئيس السادات مثل اعادة رجال القضاء الذين عزلوا لم تأت كاملة ، فان هذا القرار الحكيم المشكور لم يعد القضاة جميعاً لتدخل بعض الاعتبارات التي حالت دون اعادتهم جميعاً ، وأخيراً أعيدوا جميعاً بعد أن رفع البعض قضايا أمام القضاء .

« ان هناك بعض المعوقات التي تعوق السير في إجراءات التصحيح حتى نهايتها ، ولذا فانه يجب أن نراجع سياستنا ، وان ننظر اليها نظرة جديدة حتى نهايتها ، وهذه نقطة حيوية جداً » .

وانتقل الدكتور حلمي مراد الى الحديث عن المبادىء العامة في السياسة العربية فقال :

« ليس هناك اثنان من العرب يختلفان على التحرر السياسي ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك التجمع العربي وضم الصفوف . وليس هناك اثنان من العرب يختلفان على تحقيق العدالة الاجتماعية ، وان اختلفا فان اختلافهما سيكون في مفهوم هذه العدالة الاجتماعية ، فهل نسميها اشتراكية وما نوع هذه الاشتراكية ؟ اننا جميعاً متفقون على العدالة الاجتماعية ، ومحاولة النهوض بالطبقات الفقيرة الكادحة التي يسحقها الغلاء وارتفاع الأسعار أو قلة الدخول ، فهذه المسائل لا يختلف عليها أبداً وهذا هو الأساس .

أما الأساليب والخطط والمناهج التي تتبع لتنفيذ مثل هذه الأهداف ، فهذا هو محل الخلاف ، وهو بالتالي الذي أحدث الهزيمة . فنحن لا ننكر أن الرئيس الراحل عبد الناصر كان يريد تحقيق تلك الأهداف وكان يريد الخير لهذا البلد ولهذا الوطن العربي ،ولكن ما هي النتيجة التي وصلنااليها؟! :

احتلال اسرائيلي بديل عن التحرر السياسي ، ومتاعب وديون اقتصادية بديل عن التنمية الاقتصادية ، وتمزق عربي بديل عن الوفاق العربي ، ومن ناحية العدالة الاجتماعية فان لدينا تطبيقاً سيئاً للاشتراكية ، اذ نسمع عن الدخول الانتهازية والطفيلية ، وليس هذا كلامي بل انه كلام الأجهزة الرسمية ، ونسمع عن طبقات جديدة تنهب وتسلب ، ونقرأ عن اختلاسات خطرة في ريبورتاجات الصحف .

اذن لم تحقق العدالة الاجتماعية بالصورة التي ننشدها !

فمع سلامة النوايا ، ومع الاتفاق على الأهداف ، كانت النتائج سيئة ، لأن الاسلوب والمنهج سيئان ، فيجب أن نراجع كل ذلك ! » .

يجب أن ننسى كل شيء ما عدا اسرائيل

وقال الدكتور حلمي مراد في تلك المناقشة التاريخية بمجلس الشعب المصري ، التي سبقت معركة العاشر من رمضان بأيام قليلة ، ان البلاد العربية فيها « الكفايات والقدرات والعقول الكثيرة المفكرة التي تستطيع أن تواصل الجهاد والنضال وتتفادى ما حدث من أخطاء ، وما أوقعتنا فيه العناصر المعادية للأمـــة العربية من المطبات ، فلا يصح أن نتراجع عن التصحيح الكامل ، ولا أن نقف أبداً مترددين ، ولا يعني الرجوع في مواقف قد اتخذت انه هجوم على الناصرية او هدم للاشتراكية او المبادىء التي نسير عليها ، فان هذا التصور يعد ارهاباً فكرياً يريد ابقاءنا في المستنقع !

نريد أن نتحرر فكرياً وعقلياً ونتصرف في مصير أمتنا العربية لأجيال قادمة ، التصرف الذي يرضي ضمائرنا ويوصلنا الى بر الأمان ويخرجنا من

هذه المهانة . فنحن نتّراجع الى الوراء باستمرار . ففي عام ١٩٥٦ عندما هاجمتنا اسرائيل خشيت ان تهاجمنا بمفردها وطلبت معاونة انكلترا وفرنسا لكي تقدم على الهجوم على مصر ، وفي عام ١٩٦٧ وجدت اسرائيل في نفسها القدرة والكفاية على مهاجمة ثلاث دول عربية بمفردها . واسرائيل الآن تجد في نفسها القدرة على أن تهاجم وحدها جميع الدول العربية . وهذا معناه تدهور ورجوع الى الوراء . فالى متى نقف لنتحدث في فلسفات وايديولوجيات ونحلل بعض الفاظ وكلمات لا تسمن ولا تغني من جوع . فلا بد أن نكون عمليين ، ويجب أن نخطط لعملية بناء الانسان العربي ، وهذا هو المهم . كيف ننهض به ؟ وكيف نحرر الأرض العربية ونستعيد الكرامة العربية ؟ وكيف ندافع عنها ؟ وكيف نستفيد من مواردنا ؟ هذا هو ما يجب أن يكون . فاما أن نضيع وقتنا كما ذكرت ، فهذا ما تسعى اسرائيل اليه .

« نحن أمام خطر داهم الآن ، فلا بد أن ننسى كل شيء ما عدا اسرائيل ، فهذه هي النقطة ، ولا بد ان نتكاتف جميعاً في مواجهة اسرائيل ولا حديث في غير هذا حتى نتخلص من هذه الورطة وهذه الكارثة التي حلت بالأمة العربية .

« يجب استبعاد كل كلام يصف دولة عربية بأنها تقدمية ، وأخرى بأنها رجعية ، فكلنا دول عربية ، وكلنا مهددون من اسرائيل ، ويجب ان نتكاتف جميعاً ونضع كل طاقاتنا وامكاناتنا لمواجهة اسرائيل أولاً » .

أما فيما يختص بالحشد العربي ، فأرى ان هناك اهتماماً بالحشد الشعبي .

وأود أن أقول بصراحة اننا لسنا في حاجة الى بذل جهد للوصول الى حشد شعبي ، فنحن اذا ذهبنا الى أي بلد عربي نجد ان الشعوب العربية

تجمعها وحدة فكرية ، ونجدهم متحمسين ومحتشدين .

نحن لا يعوزنا الحشد الشعبي العربي ، ولكننا نفتقر الى نوعين من الحشد العربي ، هما :

– الحشد العربي الرئاسي .

– والحشد العربي بين كل رئيس وشعبه .

هذا هو ما نحتاجه بالنسبة للحشد العربي » .

... واجتمعت كلمة العرب

لقد اشتعلت الحرب واستعرت ، وأخذت على العالم أنفاسه ، وشارفت البسيطة على الانفجار بانتقال الشرر من الدائرة المحلية الى المحيط الأكبر .. والنار تستدعي النار .

وشاءت الظروف العالمية التي فرضت نفسها على الحق والمنطق – ولو الى حين – ان تلجم المدفع ، وتنكس الصاروخ ، وتحول بين المقاتل العربي الشجاع وهدفه .. وجاء دور السياسة .. وما زال منطق الصراع العربي الاسرائيلي هو هو .. كر وفر ، واقدام واحجام ، وجلاد وصدام ، مرة في الدائرة الكبرى من حرب حامية الوطيس شديدة الأوار ، وطوراً بحرب استنزافية محدودة المدى بعيدة الأثر .

وأسفرت اللعبة السياسية عن تلك المفاوضات التي لا نعرف ظروف ترتيبها وملابسات إعدادها .. ولكننا نعرف ان طرفي النزاع فيها ينطلقان من النقيضين : دخيل مبطل يريد أن يضفي على عدوانه الصفة القانونية ، وصاحب وطن سليب يدافع عن وجوده وكرامته بالعودة إلى هذا الوطن وفي يديه كل المقومات القانونية من شرعة حقوق الانسان وشريعة الرحيم

الرحمن .. وكلا الفريقين يأخذ بزناد البندقية ، بينما هو يمسك بالقلم !

* * *

من خلال هذه الصورة عن واقع الصراع الدائر على ساحة الشرق الأوسط ، كان لا مندوحة للعرب ، ممثلين بملوكهم ورؤسائهم ، من أن يتنادوا – وعيون الجميع على جبهات القتال – لعقد اجتماع يتداولون فيه ويتباحثون ، ويعدون للمعركة المستمرة عدتها .

وبدهي ان اجتماع القمة هذا ، قد حقق مطمح كل عربي ، والغاية التي تتوق اليها النفوس الجريحة المؤمنة : لقد اجتمعت فيه كلمة العرب ، وتوحد هدفهم ، عبر الرؤية الصحيحة لواقعهم من العالم وواقع العالم منهم . ولم يجتمعوا هذه المرة لتبادل العناق وفي يد كل منهم خنجر يتحين الفرصة ليطعن به أخاه في ظهره !

ان هذا الاجتماع التاريخي ان أسفر عن شيء ، فحسبه أنه كشف عن الذات العربية ، ورأى فيه كل عربي صورته في شخص أخيه . وعرف الجميع انه لا عزة لواحد منهم ولا قوة ، الا بعزة الجميع وقوة الجميع ، وان العار الذي يلحق بواحد منهم انما يلحق بهم جميعاً ، وعليهم أن يتكاتفوا ويتحدوا ويتعاونوا لغسل العار .. فالمعركة التي يخوضونها انما هي معركة الكرامة العربية ، ولسان حال كل منهم ينطق بآية العروبة التي جلجل بها صوت المتنبي قبل الف عام :

لا افتخار الا لمن لا يضام   مدرك ، او محارب لا ينام !

واستعرض الملوك والرؤساء الاسلحة التي في أيديهم ، وتساءلوا عن الحرب الاقتصادية التي لم يكن هدير المدفع وامتشاق السيوف ، على مدار الزمان ورحاب المكان ، الا بعض وسائلها ، وعدة متواضعة من

عددها ، لأنها التتويج الحقيقي لكل انتصار .

وكان عمل البصر والبصيرة ، وتقليب الرأي على سائر وجوهه : من نحن من العالم وما دورنا فيه ؟ ومن هي اسرائيل وما مصدر طاقتها ؟ من الصديق الصادق ، والصديق المخادع ، والمحايد المداري أو المحابي ؟ وأخيراً من هو العدو المساند عدونا سواء في ذلك من يكاشفنا البغضاء أو يراوغ فيها ، من يظهر الضر أو يضمر الشر ؟!

أسئلة لم يجاوب عنها هذه المرة بأسئلة تجر وراءها ركاماً من علامات الاستفهام واشارات التعجب ، ولم تعالج بالغمغمة والتواء الألسنة .. وانما جهر بجوابها صريحاً نقياً كماء المزن ، وضاحاً صافياً كطاقة شعاعية ، لأن قائلها هذه المرة هو فيصل العرب .

وهكذا أجمعت كلمة العرب ، بريادة الفيصل ، على خوض معركة النفط ، ليس ضد اسرائيل وحدها ، وانما ضد كل من هو وراء اسرائيل، ابتداء من الولايات المتحدة الاميركية وانتهاء بهولندا .

وخاضت الامة العربية معركة النفط ، وهي تقف وقفة الأهبة والاستعداد لخوض النضال الدامي مجدداً،والتكلم بلغة النار ،اذا أخفقت المعركة السياسية التي تخوضها في اجتماعات الخيمة وأروقة قصر الأمم .

إِنتِصَارُ العَرَبِ رَهْنٌ بِإجْمَاعِ كَلِمَتِهِمْ

ان المملكة العربية تعتبر نفسها سنداً لكل عربي ، وفي خدمة كل قضية عربية ، هادفة الى التعاون والتضامن والاخاء .

فيصل بن عبد العزيز

مبادىء ثابتة يجسدها العمل الجاد

لم يكن موقف المملكة العربية السعودية في معركة الكرامة العربية ، ودورها في معركة النفط ، مجرد بادرة عربية أصيلة صدرت عن الملك فيصل ابن عبد العزيز ، لان هذه البادرة ليست سوى امتداد طبيعي ومتابعة متصلة للسياسة الخارجية السعودية القائمة على المبادىء المضيئة والاسس الثابتة التي ارتكز عليها صرح المملكة ، وهي التجسيد الفعلي لمواقف فيصل الذي كانت كلمته على الدوام ترجمة صادقة لتصرفه الواعي الحكيم ، بعداً عن الدجل السياسي والغوغائية الصاخبة ، والذي كان منطلقه أبداً التزام جانب الحق باخلاص وثبات ومن خلال الديبلوماسية الهادئة الرصينة.

فلقد درجت الدولة السعودية ، منذ وضع المغفور له الملك عبد العزيز لبنات بنائها الأولى ، على أن تحيا روح شعار التضامن العربي وان تعمل بنشاط لتحقيق مضمون هذا الشعار ، سمواً بصرح العروبة ، ونهوضاً بأمة العرب ، ومجابهة للتحديات الدولية على كافة أشكالها ومتعدد أطرافها ، من صهيونية وشيوعية وامبريالية ، والخروج من دائرة الصراع الدولي ، ودخول معترك التقدم لشعوب الوطن العربي ، بتحطيم أغلال التخلف المفروضة عليها .

واذا ما عدنا الى أقوال العاهل السعودي الكبير ألفينا جلالته واقفاً في هذا الخط ، داعياً الى وحدة الصف العربي ، منذ نجمت بواعث التفرقة

الأولى ، وما تخفي وراءها من تيارات أجنبية مريبة ، عملت على افتعال الصراع واختلاق الفتنة ، الى درجة العداء بين أبناء الوطن الواحد ، والمجابهة بين دول الوطن العربي الكبير .

ومنذ أول يوم تسلم فيه مقاليد الحكم ، إثر مبايعته بالملك عام ١٩٦٥ ، قال محدداً السياسة الخارجية للعربية السعودية . :

« ومن أهداف سياستنا الخارجية ، التعاون العربي الى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة ، وتنفيذ مقررات مؤتمري القمة العربيين ، والسعي الى تحرير جميع أجزاء الوطن العربي التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار ، والسير مع الدول الاسلامية في كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ورفعة شأنهم ، ونؤيد ميثاق جامعة الدول العربية وندعمه ، ونؤيد ميثاق هيئة الأمم المتحدة ومقررات مؤتمر باندونغ ودول عدم الانحياز ، ونسعى بكل ما أوتينا من قوة الى أن يسود العالم سلام عادل، وحرية حقيقية، وطمأنينة دائمة » .

سياسة عربية رشيدة بدا أثرها الايجابي في كل أزمة

وما أنفكت العربية السعودية تجهد وتناضل في سبيل صفاء الدعوة العربية ، رفعاً من شأن العرب وتعزيزاً له ، حتى يرتفع سداً منيعاً في وجه أطماع الطامعين من دول أي من المعسكرين الشرقي أم الغربي ، وحداً من الاطماع الصهيونية في مجابهة خطرها التوسعي الدائم من جهة ، والانتقال بالنضال الى مرحلة التحرير لاعادة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني من جهة ثانية .

ويجب الملاحظة بأن هذه السياسة الرشيدة لم تقف عند حد معين ، وانما

كانت تظهر في كل أزمة تمس جوهر القضية العربية ، يعززها ابداً التعاون المثمر ، والدعم النشيط ، ومد يد العون والمساعدة للاصدقاء ، وتعميق الجهد المشترك لجعل العالم العربي كياناً شامخاً موحداً في الصف السياسي ، الواقف بثبات وحزم وراء الصف العسكري ، يرفد كل ذلك ثروة المملكة الطائلة وسياستها الهادئة الحكيمة .

وقد وضعت السياسة السعودية نصب عينيها في المحيط العربي مبدأ المصير العربي المشترك ، فقال الملك القائد لمعارك العروبة ومسدد خطاها :

« ان المملكة العربية تعتبر نفسها سنداً لكل عربي ، وفي خدمة كل عربي ، تهدف الى التعاون والتضامن ، والى الاخاء ، معتمدة في ذلك على حسن نيتها وايمانها بالله سبحانه وتعالى في حسن مقصدها ، وترجو من كل أمة وكل دولة ، ان تسلك الطريق القويم ، وان نكون أخوة في أهدافنا ، أخوة في آمالنا ، اخوة في كل ما نصبو اليه » .

وقد توجت تلك المواقف الحميدة ، برأب الصدع الذي خلخل صفوف الأمة العربية يوم تنازعتها ، ان لم نقل مزقتها ، الأهواء السياسية ، والمطامع الحزبية ، والمقاصد الذاتية ، فضلاً عن بعض النزعات الاقليمية الضيقة ، فأحبطت المحاولات المريضة المغرضة لاخراجها عن ذلك النهج القويم ، وردت نظرياً وعملياً على الافتراءات المسمومة بالديبلوماسية الهادئة التي تحمل بذاتها وبشكل موضوعي ، روح النقد الذاتي لمجموع الاوضاع العربية من محيطها الى خليجها ، والعمل على تطوير كل بقعة من بقاع العالم العربي ، يقول جلالته :

« ان بلاد العرب اليوم في أشد الحاجة الى الاستقرار والهدوء ، وان ينصرف كل بلد وكل حكومة مسؤولة ، وكل فرد في أي بلد عربي ، الى

خدمة بلده وأمته ، والنهوض بها للوصول الى المقام اللائق بين الأمم .

« هذا ما يحتاجه العرب ، أما التناحر والتنابذ ، والتشاتم والمهاترات ، فان هذا يمنعه ديننا ، وتمنعه كرامة العرب والمصلحة العربية ، فليس من مصلحة أحد أن يضر نفسه ، ويضر الجميع ، ويؤخر البلاد العربية عن القيام بواجبها كما يجب عليها » .

وهكذا ، فان المصلحة العربية الأولى ، تتمثل أول ما تتمثل بوحدة الصف داخل العالم العربي ، وبمعنى آخر بترسيخ الجبهة المقاومة في كل موقع عربي ، وبخاصة في اطار الاقليم الواحد ، ومن ثم ايجاد الجبهة العربية المساندة ، وبالتالي مجابهة الخطر الاستعماري المحدق المتمثل بدولة اسرائيل الصهيونية التوسعية .

وهل من ريب في أن مصلحة كل قطر عربي انما تتجسم في اطار المصلحة العربية الشاملة ، وفي منأى عن المنطلقات الأنانية ، والمصالح الاقليمية ، والحزازات الحزبية ، فالنضال العربي قوامه وحدة المصلحة العربية ، أو كما يقول جلالته :

« ان انكار الذات في سبيل المصلحة العربية ، هو العلاج لقضايا العروبة ، ولو تمكن العرب من العمل في هذا الاتجاه لما حدث أي خلاف بينهم » .

ما كانت النكسة لتقع لولا التمزق العربي

وان انتهاج الدول العربية قولاً وفعلاً ، نية وتطبيقاً ، سمت الاتجاه نحو التضامن الفعلي ، لهو المنطق السليم لكل عمل عسكري وبناء سياسي ، في العمل العربي الموحد الذي يستهدف صميم استراتيجية الدول الكبرى التي تدفع — بهذا الشكل أو بغيره — بتيار مياهها نحو طاحون اسرائيل .. لأن

سلاح الفرقة العربية كان الركن الأول في استراتيجية دول العدوان والصهيونية العالمية ، التي كم جهدت لايجاد الثغرات وافتعالها ، داخل جدار التضامن العربي ، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، لإنها على يقين بأنه متى توحدت كلمة العرب ، أخذوا بزمام القوة ، وانطلقوا في طريق النصر .

ومن هنا كان العمل العسكري وتكلله بالنجاح أو اصابته بالاخفاق ، في أية معركة ، الانعكاس الحتمي لمستوى القوى الاقتصادية ، ومدى التلاحم الداخلي ، لكل جبهة تتحرك ضد خصم عسكري على الجبهة المقابلة .. وانتصار العرب رهن باستقلالهم الكامل من كل تبعية للدول الكبرى ، والنضال ضد التخلف ، وبناء القوة الذاتية ، وبالتالي توحيد اتجاههم ووحدة هدفهم .

وهل يخفى على ذي عينين ان النكسة ـ النكبة ، ما كانت لتكون لولا تخبط العرب في دوامة الصراع الداخلي ، ولولا انهم واجهوا عدوهم وهم ممزقون نهباً مقسماً الى تيارات « ثورية » و« تقدمية » يمكر بعضها بالبعض الآخر من جهة ، وتتآمر من جهة ثانية على كل من لم ينزلق بتيارها ، ناعتة اياه بالرجعية والعمالة ، جاهدة لنسف ما لا يروقها من الأنظمة العربية ، في نهج يتسم بضيق الأفق وجمود التفكير وقصر الرؤية ، والتجند بوعي أو غير وعي لتحقيق أهداف الشيوعية والاستعمار ، والتمهيد لانتصار الصهيونية العالمية وقاعدتها اسرائيل .

وهكذا ، واستلهاماً لدروس الماضي ، كانت العقائدية اليسارية البعيدة عن روح العروبة والاسلام معاً ، الشرخ الذي شق جدار وحدة الصف العربي ، وعمل على وأد تراثه الفكري ، وقيمه الأخلاقية ، وتثبيت قواعد

الاستعمار في أرض النبوات .. وكم كان الفيصل على حق حين عبر عن هذا الواقع المؤلم بقوله :

« اننا أيها الأخوة لفي حيرة كيف نرى مقدساتنا تستباح وتستهان ، ومع هذا نجد أنفسنا عاجزين عن أن ندافع عنها ، او نستردها من أعدائنا ، وكل هذا بسبب تفرقنا وتنابذنا وتخالفنا فيما بيننا .. » .

منعطف تاريخي في السياسة العربية

ولعلنا في غنى عن هذه الذكريات الأليمة ، ونحن نعيش في هذه الأيام بواكير ربيع الوحدة ، ولكن الشاعر العربي يقول : « والضد يظهر من محاسنه الضد .. » والتعرف على أسباب الهزيمة هو الذي يقودنا الى النصر ، وادراك عوامل التخلف هو المنطلق الأول لاستئصال آثاره واجتثاث جذوره .

ومن هنا كانت فضيلة المملكة السعودية وفضلها بآن معاً ، تتمثل بشخص عاهلها الكبير الذي أدرك علة التخلف العربي ، ونهد بطاقة ايمانه ، عربياً واسلامياً لتخطي حواجز التفرقة والانتصار عليها ، ببناء وحدة الصف ، ووحدة الهدف ، ووحدة المصير ، في التأكيد العملي على تلك المعادلة السياسية لواقعنا .

ان التضامن هو الخطوة الأساسية التي يستطيع عالمنا العربي التغلب بها على ازماته الداخلية ، السياسية منها والاقتصادية ، بل الخطوة الفعلية في الانتصار على أعداء الأمة العربية من قوى استعمارية وشيوعية وصهيونية .. واذا كان هناك من متمم او مكمل للوحدة العربية ، فهو تلك الجبهة الواسعة من الدول الصديقة يتوجها العالم الاسلامي الكبير .

وقد أتى التحرك السعودي بيانع ثمراته إثر تحرك الفيصل واتصاله شخصياً برؤساء دول المواجهة ، وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية ، ومبادرته الجادة لارساء أسس التنسيق العربي ، وقد تمخضت الزيارة التي قام بها للعاصمة المصرية في شهر حزيران – يونية ١٩٧١ عن التحرك العربي السليم محلياً وعالمياً ، وكانت منعطفاً تاريخياً في السياسة العقلانية العربية .

وكان الاستقبال الجماهيري الفذ الذي لاقاه حامي الحرمين في أرض الكنانة ، التعبير العفوي الصادق لتمسك أبناء النيل بقيم العروبة والاسلام ، ونبذ كل دخيل من مستورد العقائد الذي لم تفلح آلة السياسة المشبوهة في ادخاله بجسم العروبة ، اذ ما كادت تلك الجماهير الغفيرة تتاح لها حرية التعبير عن رأيها ، حتى التفت تحت راية الوفاق العربي وتعاليم الاسلام السمحاء .

ولم تستطع « الأهرام » يومذاك الا التنويه بمدى التحولات المقبلة التي ستجري على صعيد العلاقات العربية والمعادلات القائمة في منطقة الشرق الأوسط ، والقاء النور على النتائج المتوخاة من ذلك اللقاء التاريخي بين الزعيمين العربيين ، فقالت :

« ان كل اتجاه حقيقي نحو التنسيق والتعاون ، واتخاذ الخطوات الصادقة نحو وحدة الجهد ووحدة التصور ، هو تمكين للأمة العربية من التمسك بناصية التحرك الايجابي المثمر لتأمين حقوقها القومية المشروعة » .

المنطلقات الفيصلية في سياسة التضامن العربي

وهكذا أخذ الحلم يتجسد حقيقة ، والأمل المنشود واقعاً مشهوداً ، وعبرت مصر برزخ السلبيات الى شاطىء الايجابيات ، ورفعت الراية التي

طالما رفعها الملك فيصل من قبل ، راية وحدة التحرك ووحدة الهدف ووحدة المصير ، وقال الرئيس السادات وكأنه يردد ما قاله العاهل السعودي مرات ومرات :

« ان العرب جميعاً قوة متماسكة ، وانه بفضل اجتماع كلمتهم ، واتحاد وجهتهم ،وتضامن مسعاهم ،سيكتب اللهللأمةالعربية النصر والعزة ».

تلك هي المنطلقات الفيصلية في سياسة التضامن العربي ، وبالتالي تلك الرؤية الواعية للمصلحة العربية من خلال النظرة الجدلية للواقع المتشابك ، وخوض المعارك المشتركة على الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية ، وترك كل بلد عربي يعمل ما يراه صالحاً لتربته الإقليمية وللمصلحة العربية في آن واحد . يقول جلالته :

« ان سياستنا نابعة من شعور شعبنا الفياض بأن تترك لكل بلد عربي حرية مصيره ، كما يراه صالحاً لنفسه ولأمته . وانني اؤكد مرة أخرى بأن هذه السياسة التي نتبعها سنتمسك بها ولن نقبل عنها محيداً » .

واذا سلمنا بهذه المنطلقات في السياسة السعودية ، وخطها الريادي على الصعيد العربي ، كان علينا أن نسلم بمنطلق آخر لعله الأهم ، وهو ان سياسة المملكة تأنف من الوقوف عند الشعارات البراقة ، وفصل النية الطيبة عن التطبيق العملي ، في كل ما يعود بالخير على الأمة العربية جمعاء.. ففي القاموس السياسي السعودي ، الكلمة تعني الفعل ، والشعار ترجمته الممارسة ، بابتعاد كلي عن المثل العربي القديم : « نسمع جعجعة ولا نرى طحيناً ! » ، لأن الموقف السياسي لديها هو التحرك السياسي لتحقيق هذا الموقف ، وسياسة الاخاء هي التصرف الأخوي الصادق ، والتضامن العربي هو التضامن الفعلي والفاعل وليس مجرد كلمات وابتسامات وشعارات !

ومعركة العاشر من رمضان التي خاضتها الدول العربية تمحو صفحة العار من خاطر الأمة العربية، والتي استطاع فيها المقاتل العربي تحطيم اسطورة اسرائيل التي لا تغلب ، وخرافة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ، انما جاءت بنتائجها الايجابية تتويجاً لواقع التضامن العربي الذي كانت المملكة العربية السعودية محوره ، وكان فيصل بن عبد العزيز رائده وراعيه .

وهل يخفى على أحد ان هزيمة حزيران انما كانت بدورها حصيلة تمزق التضامن العربي وتفرق كلمة العرب ؟!

وهكذا يمكن القول بكل ثقة ان الدرس كان مزدوجاً والعبرة كانت مضاعفة ، من خلال استعراض نتائج الحربين !!

وليس من يجهل الدور السعودي الطليعي ، في الفترة الفاصلة بين الحربين ، اذ بدا الملك فيصل ، وهو ذلك العربي الاصيل والمسلم المثال ، وكأن جراح حزيران قد نفذت في أعماقه أكثر مما نفذت في أعماق أي مسؤول آخر ، فهب يرأب الصدع ، ويرمم الانهيار ، ويدعم البقية الباقية من القوة العربية ، ويجمع على صعيد التضامن الأخوة المتباعدين والأشقاء المنشقين ، ويعالج بالكلمة الطيبة والتوجيه الحكيم كـل الحزازات والانشقاقات ، ويسد الطريق على جميع التوقعات والاحتمالات .. حتى قامت تلك الجهة القوية على ركائز متينة عسكرية واقتصادية وقومية ، واستطاعت ان تنقل العرب من ضفة الهزيمة الى ضفة النصر .

وبرز دور المملكة بشكل يبهر العيان اثر توقف القتال وتحرك الجبهة السياسية العربية ، قبيل انعقاد مؤتمر القمة العربي الأخير .. وكانت المملكة السعودية بشخص عاهلها الكبير مركز الثقل ، وعصا الأمان ، في مسيرة

التحرك العربي ، تأكيداً على وحدة الصف والعمل المشترك .

وعلى اثر الجولة التي قام بها دولة رئيس الوزارة اللبنانية الاستاذ تقي الدين الصلح في عدد من الاقطار العربية ، ومنها المملكة العربية السعودية حيث قابل جلالة الفيصل صرح دولته بعد عودته الى بيروت بقوله :

« نعود من المملكة العربية السعودية البلد الشقيق العزيز ، بمزيد من الثقة والايمان والاطمئنان الى نجاح العرب في مسيرتهم الحاضرة نحو مـــا ينشدون من الآمال .

« ولقد ألقى الملك فيصل القائد الحكيم بكل ثقل المملكة في المعركة التي يخوضها العرب . وتعلمون أهمية هذا الثقل ، وتلمسون آثاره اليوم في العالم العربي ، وفي كل أنحاء العالم . ولكن الذي أريد أن الفت اليه هنا ، هو ان هذا الثقل ليس من حيث النفط فقط ، وسلاح النفط ذاته ليس له جانب اقتصادي فحسب ، بل ان له جوانب عديدة ، وله علاقته بالتحركات السياسية والاعلامية ، كما ان ثقل التحرك السعودي يستند الى التراث الروحي بما تحتويه السعودية من ديار واراض مقدسة يرنو اليها ويلتقي حولها ، فضلاً عن العرب ، مئات الملايين من أبناء العالم الاسلامي ، وهذا الثقل العظيم لا بد أن يكون له تأثيره الكبير في ميزان القوى الذي يشكله العالم العربي بمختلف دياره وأقطاره » .

أما وزير الخارجية اللبناني الأستاذ فؤاد نفاع ، فقد صرح بدوره متحدثاً عن انطباعاته عن المملكة ودور فيصلها في معركة السلام قائلاً :

« لقد وجدت في المملكة العربية السعودية ملكاً عظيماً يقود بذاته نهضة البلاد في جميع نواحيها ، ويشارك في قيادة معركة السلام بأقوى ما لديه من قوة معنوية وصلابة في العقيدة ، وبكل ما حبا الله به أرضه من واقع

روحاني ووسائل مادية » .

وهكذا يمكن التأكيد على أن التضامن العربي هو الذي غير الخريطة السياسية لواقع الصراع بمنطقة الشرق الأوسط ، اذ ان امضى أسلحة اسرائيل وأشدها فتكاً ، انقسام الصف العربي وتفرق كلمة العرب ، وقد عملت جاهدة طوال تاريخها على ان تحارب العربي بالعربي ثم تصطادهما الواحد تلو الآخر ، ولم يحطم سلاحها هذا سوى السياسة الفيصلية الحكيمة التي غيرت الواقع السابق وقلبت الصورة ، فعاد العرب للثقة بالنفس في مواجهة تحديات العصر ، وقد استحال ضعفهم قوه ، وتخاذلهم صلابة .

وكما لاحظ رئيس الوزارة اللبنانية ، ذلك الدور الخطير الذي تلعبه المملكة السعودية ، لاحظه كذلك رئيس الوزارة اليمنية الاستاذ عبد الله الحجري فنوّه في تصريح له بالاثر الكبير الذي كان للملك فيصل في تبديل الصورة العربية أمام الرأي العالمي ، حين قال :

« ان حكمة العاهل السعودي وحنكته السياسية وقوة إيمانه ، أضفت على الموقف العربي تأييداً عالمياً لم يسبق له نظير .. ان تماسك الزعماء العرب والرؤساء السادات والأسد ، وتدعيم اشقائهم ملوك ورؤساء الدول العربية الأخرى ، جعل للأمة العربية ثقلاً شعرت بوطأته اسرائيل ومن يناصرها»

وحدة متلاحمة حتى النصر

ومن هنا نرى تركيز العاهل الكبير على ضرورة النضال المستمر للابقاء على وحدة الصف العربي التي تجلت بأنصع صورها في ميزان الصراع العربي الاسرائيلي ، ومتابعة تلاحم هذه الوحدة حتى النصر ، وقد روى رئيس الوزارة اللبنانية في تصريحه الآنف الذكر ان جلالته أكد له بأنه

حريص « على موقفين أساسيين . قال ان المملكة العربية السعودية تعيرهما في الظروف الراهنة أقصى قدر من الاهتمام .. وأوضح العاهل السعودي ان الموقف الأول هو ضرورة التمسك بالتضامن العربي والعمل على توثيقه وتعميمه حتى يتم اجبار اسرائيل على الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة .. والموقف الثاني هو سلاح النفط » .

وهكذا تبدو الأهمية القصرى التي توليها المملكة العربية السعودية للتضامن العربي سواء أكان ذلك على صعيد النضال السياسي او النضال العسكري .

وفي الحديث القيم الشامل الذي أجراه في تلفزيون الرياض سمو الأمير نواف بن عبد العزيز المستشار الخاص لجلالة الملك ، تناول دور المملكة في أزمة الشرق الأوسط ، والقى ضوءاً كاشفاً على المساهمة الفعالة التي قامت بها المملكة على جميع الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية ، انطلاقاً من ايمانها بوحدة العمل العربي والمصير المشترك ، وقال مقيماً آثار حرب العاشر من رمضان :

« حرب العاشر من رمضان تحدث عنها الكثيرون وخاض في تحليلها الكثيرون ، وفي اعتقادي ان النتائج المهمة لهذه الحرب هي ان العرب تحرروا من الوهم الذي ساد عندهم وعند اعدائهم ، وكذلك في المجال الدولي ، من ان اسرائيل لا تقهر ، وان قوتها لا تغلب . وقد اثبتت حرب العاشر من رمضان أن العرب اذا عقدوا عزيمتهم ورسموا أمورهم بإتقان واستعداد ، يمكن ان يصلوا الى نتائج ايجابية .. وفي يقيني ان أهم نتيجة أسفرت عنها هذه المعركة ، هي ان التضامن العربي الذي تجلى بأروع مظاهره ، صار تضامناً عربياً اشتركت أطرافه في المعركة بالدم .. واشتركت بالمال .. واشتركت بالمجهود السياسي .. لقد كان تضامناً فعالاً ابتهج له ورحب به كل من يتابع القضية بإخلاص » .

التحرك العربي ومؤتمر القمة السادس

« ان كل عربي ليعتز بموقف جلالة الملك فيصل الذي وضع كل ثقله في جانب الحق العربي ، سواء أكان ذلك بقواته المسلحة أو المال أو الحنكة السياسية الناضجة التي يحترمها الخصم قبل الصديق »

عبد الله بن حسين الأحمر
رئيس مجلس الشورى اليمني

سياسة الوفاق تلقي ظلها على الشرق الأوسط

لقد خلّفت الأحداث اللاحقة لحرب العاشر من رمضان ، وما لازمها بل لزمها من تجسيد لوحدة العرب الملحمية ، وما رافقه من نضال عسكري وسياسي مشترك ، وما توج ذلك كله من لقاء الإرادة العربية المصممة على التحرير – الأثر البالغ على مجمل الأوضاع العربية والعالمية .

وطبيعي أنه لا مناص للدارس ، وان أخذ مشكلة محلية بعينها ، من أن يضعها في محيطها الأكبر عالمياً ، وأن يحسن تحديدها بأطرها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، إلماماً بالكليات وسبراً للجزئيات ..

ولو ألقينا نظرة متفحصة على الأفق الدولي ، رأينا أن العالم ، وبخاصة اوروبا الغربية واليابان ، كان يتوجس من سياسة التقارب الأميركي السوفياتي ، ويذهب في ذلك مذاهب شتى ، من أهمها تلك الآراء التي قوّمت الوفاق بين العملاقين على أنه اتفاق على اقتسام النفوذ عالمياً ، وابعاد اوروبا – بعد التقارب الأميركي الصيني أيضاً – الى الصف الثالث .

ورمت سياسة الوفاق بظلها على أزمة الشرق الأوسط من جديد وبشكل أكثر قتامة ، وكانت هذه المرة تحت شعار ابعاد شبح المجابهة النووية المزعومة ، لكن دون أن تخفي الولايات المتحدة نواياها في اعتبار هذه المنطقة أحد أهم مراكز استراتيجيتها ، وعلى ذلك تحركت أساطيلها

البحرية والجوية في تمثيلية كان مسرحها العالم كله ، ولا ندري هل كان القصد منها التهويل على الاتحاد السوفياتي أم على البلاد العربية ... وكذلك لم تعد مطامع السوفيات مكتومة ضميرية ، بعد ان صرحوا على الملأ بان العالم العربي أحد همومهم لأنه واجهة حدودهم الجنوبية ، وتحركت أساطيلهم تبعاً لذلك ،تدغدغ أحلامهم تطلعات القياصرة للوصول الى المياه الدافئة !

الولايات المتحدة لم تتبع سياسة عادلة

ونتيجة لسياسة الوفاق بين العملاقين ، وحرصهما على مصالحهما الذاتية ، كانت سياسة التدخل في الصراع العربي الاسرائيلي ، وصدر نداء وقف القتال الذي أملته تلك المصالح وحدها .. ولكن بعد أن غض العملاقان الطرف عن اهتبال اسرائيل هذه الفرصة للامتداد بجيب الخرق غربي القناة على مساحات واسعة .

ولكن مهما كانت أهمية جيب الخرق الاسرائيلي ، ومهما غالت الصحف الأجنبية في تقويمه ، فقد قلبت حرب العاشر من رمضان ميزان القوى ، وأظهرت مقدرة الجندي العربي الذي اتيحت له فرصة القتال للمرة الأولى ، على تحطيم اسطورة التفوق الاسرائيلي ، وبترت الذراع الاسرائيلية « الطويلة » التي لم يكن موشى دايان وزير دفاع العدو ليكف عن التهديد بها على امتداد رقعة العالم العربي .. ولذا تضمن نداء الدولتين الأعظم ربط وقف القتال بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، القاضي بانسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة ، واحترام حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، فقبلت به كل من مصر وسوريا ، بعد ان قدم لهما الاتحاد السوفياتي التعهدات بالانسحاب الاسرائيلي الكامل .

وبدهي ان قوانين الحياة هي هي ، تسري على العربي سريانها على غيره ، وأحد هذه القوانين هو ان لكل فعل ، رد فعل مساو له في القوة ومعاكس في الاتجاه ، وكل ما صنعه العرب انهم نقلوا هذا القانون من صعيد الميكانيك الى صعيد المعطيات السياسية والحياتية ، فكان تحركهم السياسي الواسع ، وكانت المملكة السعودية في الطليعة ، لحسم القضية في اتجاه الحق العربي .

ومن الواضح ان تحرك العرب سياسياً لم يتوقف في غمرة النضال العسكري ، وانما هو نضال مستمر سابق للمعركة ولاحق لها ، ولا سيما بعد ان أوضحت الدول العربية موقفها ، وحدده أمين الجامعة الاستاذ محمود رياض الذي اجتمع برفقة وزراء الخارجية العرب بالدكتور هنري كسينجر في ٢٥ ايلول – سبتمبر ١٩٧٣ ، أثناء وجودهم في نيويورك للاشتراك بأعمال الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة ، معبراً عن رأي الدول العربية وموقفها ، بما يمكن درجه بالنقاط التالية :

« ان الدول العربية بذلت كل ما تستطيعه من اجل تحقيق السلام بالوسائل السلمية ، ولكن اسرائيل بعنادها سدت الطريق نحو السلام .

ان الولايات المتحدة لم تتبع سياسة عادلة في الشرق الأوسط ، وقدمت لاسرائيل كميات هائلة من السلاح ، وأيدتها سياسياً وديبلوماسياً وداخل مجلس الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة .

ان اشارة وزير الخارجية الاميركي الى أن هناك مواقف يصعب احتمالها في الشرق الأوسط ، نرد عليها بأن الشعوب العربية هي التي تتحمل عبء هذه الظروف الثقيلة ، واستمرار هذه الظروف ليس صعباً فحسب ، بل هو مستحيل .

انه بعد مرور ست سنوات دون التوصل الى نتائج ملموسة ، لا يستبعد تجدد القتال في أي وقت .

ان هناك ضيقاً عربياً بموقف الولايات المتحدة وتأييدها المستمر لاسرائيل، وابتعادها عن اتباع سياسة غير منحازة في الشرق الأوسط .

وأخيراً ، ان هناك ضرورة لانسحاب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة » .

ارساء قواعد السياسة العربية الجديدة

وهكذا تنادت الدول العربية ، بعد صدور قرار وقف اطلاق النار عن مجلس الأمن بمبادرة اميركية سوفياتية مشتركة ، لعقد مؤتمر القمة السادس ، لبحث قضايا الساعة ، ووضع سياسة عربية ثابتة للمرحلة السياسية الجديدة ، وبخاصة بعد ان قررت المملكة السعودية ، خوض معركة النفط ضد القوى المؤيدة لاسرائيل ، واستخدامها أداة ضاغطة لاجبار اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ القاضي بالانسحاب من الأراضي العربية .

وانطلاقاً من هذا الاتجاه ، عقد مجلس الجامعة العربية في العاصمة الجزائرية عدة اجتماعات في يومي ٢٤ و٢٥ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٧٣ ، بحضور وزراء الخارجية العرب ، للاعداد للمؤتمر ، وتم الاتفاق على جدول الأعمال التي سيدرسها مؤتمر القمة العربي ، وبخاصة القضايا الأربع الأساسية :

١ — الموقف السياسي ، ويتضمن موضوع مؤتمر السلام ، وعلاقات الدول الكبرى بالدول العربية ، واثر الوفاق الدولي على الموقف العربي ، وموقف كل مجموعة سياسية دولية في القضية .

٢ ـ الموقف الاقتصادي ، ويشمل موضوع البترول ، والدعم الاقتصادي لدول المواجهة ، واستخدام الأرصدة العربية في المعركة .

٤ ـ علاقات الدول العربية بالدول الأجنبية ، ووضع استراتيجية موحدة وسليمة تجاهها ، وضمان حقوق شعب فلسطين » .

وقد عقد مؤتمر القمة العربي السادس بمدينة الجزائر في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٧٣ ، واذا كان هناك من تخلف عنه فمنطق السياسة يقول ان خط الهروب ذو مخرجين اثنين : النكوص الى الوراء او تخطي القافلة الجماعية .. ومع ذلك أرسيت للسياسة العربية قواعدها المفتوحة لكل الإخوان ، والمتخلفين منهم كذلك ، وهي الحفاظ على وحدة النضال العربي ، واستخدام الطاقات العربية الشاملة في المعركة السياسية المقبلة .. ومما جاء في كلمة الافتتاح التي القاها الرئيس هواري بومدين قوله :

« يجب أن نستخلص الدروس الحقيقية لتجربة اكتوبر العظيمة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، وان تستعد الأمة العربية للمعركة القادمة مع اسرائيل »

كلمة واحدة نحو هدف واحد

وقد تصدرت المملكة العربية السعودية بقيادة عاهلها الكبير ، مرحلة النضال السياسي المقبل ، بعد ان رمت بكامل ثقلها السياسي في النضال العربي ، وبروز الفيصل قائداً رائداً لمعركة النفط .

ومما يحمد لمؤتمر القمة هذه المرة ان العرب كانوا قلباً وقالباً ، سراً وظاهراً ، كلمة واحدة حول هدف موحد هو متابعة النضال فعلياً ضد الوجود الصهيوني ، ومد دول المواجهة بكل الاسباب التي تتيح لها متابعة

المعركة على كافة مستوياتها ، وذلك في القرارات السرية التي شفعت بقرارات علنية نثبتها هنا لما تنطوي عليه من أهمية تاريخية كبرى :

« ان ملوك ورؤساء دول جامعة الدول العربية في اجتماعهم بالجزائر بناء على دعوة الرئيس السادات رئيس جمهورية مصر العربية والرئيس الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية ، قد تدارسوا الموقف العربي والدولي في ضوء ما قدمه الملوك والرؤساء من بيانات ، وتقرير الامين العام ، وتوصيات وزراء الخارجية ، واتخذوا القرارات السياسية والدفاعية والاقتصادية التي يستوجبها الموقف .

ان العالم العربي يمر بفترة حاسمة في تاريخه ، والكفاح ضد الغزو الصهيوني مسؤولية تاريخية طويلة الامد تتطلب المزيد من البذل والتضحية .

واذا كانت حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ قد أبرزت تصميم الامة العربية لتحرير أراضيها المحتلة مهما كان ، فان وقف اطلاق النار في الميدان لا يعني اطلاقاً ان الكفاح قد توقف أو ان البلدان العربية يمكن ان يفرض عليها حل لا يحقق اهدافها العادلة .

وما زالت الحروب العدوانية التوسعية التي تضع العالم على حافة صراع شامل لم يقض على أسبابها ، ولن يستتب في الشرق الاوسط سلام دائم أو أمن حقيقي ، ولا يمكن التوفيق بين العدوان وبين مبادىء الاستقلال الوطني والتنمية والتقدم والسلام العادل .

ان حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ انما هي مثل سابقتها نتيجة حتمية لسياسة العدوان والامر الواقع التي تنتهجها اسرائيل ، ضاربة بعرض الحائط بالمبادىء والقرارات الدولية وحقوق الشعوب ، ذلك ان اسرائيل لم تفتأ منذ أن سلبت حقوق الشعب الفلسطيني وطردته من وطنه ، تعمل على

التوسع ، معتمدة في ذلك على تواطؤ الدول الاستعمارية ودعمها الاقتصادي العسكري لها ، خاصة من الولايات الامريكية .

ولقد برز هذا التواطؤ مؤخراً في تجنيد الوسائل المادية والمالية بشكل لم يسبق له مثيل ، وفي جلب المرتزقة المتخصصين ، وفي تنظيم حملة سياسية التقى على صعيدها كل أعداء تحرر العالم الثالث .

وأشار البيان الى ان اسرائيل ، بالاضافة الى سياسة الحرب والتوسع ، ترمي كذلك في اطار الاستراتيجية الاستعمارية ، الى القضاء على امكانيات التنمية لشعوب المنطقة .

وهكذا تبدو الصهيونية في هذا العصر الذي يشهد انطلاقة التحرير الوطني وتصفية الاستعمار ، انبعاثاً خطيراً للنظام الاستعماري والعنصري ولمناهجه في السيطرة والاستغلال الاقتصادي .

وقال البيان انه رغم ارتباط اسرائيل بالاستعمار العالمي الذي يضع في خدمة أهدافها العدوانية امكانياته ، فان الامة العربية لم تتخل أبداً عن أهدافها الوطنية ولم تتراجع ، ولم تستطع الانتكاسات ان تنال من ارادتها الوطنية بل زادتها صلابة وتصميماً .

ففي اكتوبر ١٩٧٣ استطاعت القوات المسلحة المصرية والسورية والمقاومة الفلسطينية ، تشاركها قوات عربية أخرى ، ان تلحق بالمعتدين الاسرائيليين أفدح الخسائر ، ومن خلال هذه المعركة تعاظم وعي الامة العربية وحكوماتها بمسؤولياتها وامكانياتها المادية والبشرية .

وحيا المؤتمر الجنود العرب الابطال على جبهات القتال الذين سجلوا أروع صفحات الوطنية والاقدام ويزدادون تصميماً على النضال حتى النصر .

كما حيا الشهداء الابرار ، وقال ان اسرائيل ظهرت على حقيقتها ،

وانكشفت اطماعها التوسعية وصداقتها المزيفة للشعوب الافريقية ، ولم تعد تحظ بأي تأييد في أفريقيا الا من الانظمة الاستعمارية والعنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا والبرتغال . والى جانب ذلك تواجه اسرائيل رفضاً عاماً لسياستها في البلاد الاسلامية وبلدان عدم الانحياز ومنظمات التحرير في العـالم الثالث وفي البلدان الاشتراكيـة والرأي العام العالمي المستنير غير المتحيز .

وقد أصبح اليوم انعزال اسرائيل دبلوماسياً واقعاً ملموساً ، ومما ينطوي على دلالة خاصة أن تبدأ بعض الحكومات الاوروبية المعروفة تقليدياً بتبنيها للمواقف الاسرائيلية ، في التساؤل عن جدوى سياسة اسرائيل المغامرة التي جاءت بمخاطر كبيرة على السلم والتعاون الدولي ، وان هذه العناصر التي تشكل مكاسب هامة للقضية العربية ينبغي تطويرها وتوطيدها من أجل التوصل الى حل يكفل الحقوق الوطنية العربية .

ومضى البيان يقول ان وقف اطلاق النار الذي مضى عليه أكثر من شهر ما يزال يصطدم بمناورات وتخريب الطرف الاسرائيلي . كما تؤكد مواقف اسرائيل الرسمية وتصرفاتها على الصعيد الدولي ، ان اسرائيل لم تتخل عن سياستها القديمة ، ولم تتراجع عن مطامعها الاستعمارية التوسعية . ان وقف اطلاق النار ليس هو السلام ، فالسلام يستلزم توفير عدد من الشروط في مقدمتها شرطان أساسيان ثابتان هما :

١ ــ انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة ، وفي مقدمتها القدس .

٢ ــ استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه القومية الثابتة .

وأعلن البيان أنه ما لم يتحقق هذان الشرطان فان الوضع سيتفاقم في

الشرق الأوسط الى أوضاع متفجرة وقيام مجابهات جديدة .

ان الملوك والرؤساء العرب ، ادراكا منهم لمسؤولياتهم التاريخية ، يؤكدون استعدادهم للمساهمة في تحقيق سلام عادل على أساس هذين المبدأين . وقال انه على الذين يتحدثون عن السلام ان يبرهنوا بالافعال عن ارادتهم في انهاء وضع تزيده الايام خطورة وتفجراً .

وأضاف ان البلاد العربية لن تقبل بأي حال رهن مستقبلها بوعود غامضة ومساومات خادعة ، وانها مصممة على استرجاع حقوقها المغتصبة وتحرير أراضيها المحتلة .

وذكر البيان ان السلام لا يمكن تحقيقه الا بالوضوح الكامل ، وتجنب المناورة والخداع . ولذلك يعلن الملوك والرؤساء العرب أن أية مشاورات جدية بناءة يجب أن تجري في هذا النطاق ، وان الدول العربية اذا لم يتوفر السلام العادل ستجد نفسها مضطرة الى مواصلة معركتها التحريرية مهما طال أمدها بجميع الوسائل وفي مختلف الميادين .

واختتم الملوك والرؤساء العرب بيان المقررات العلنية قائلين ان الامة العربية مصممة على أداء واجبها ، مستعدة للمزيد من النضال والتضحية والفداء ، وعلى العالم كله أن يحمل مسؤوليته للتصدي للعدوان ودعم النضال العربي .

أما قرارات المؤتمر ، فتنقسم الى قرارات سرية وقرارات علنية ، وقد تم اعلان الاخيرة ، وهذه القرارات هي :

اولا : الاستمرار في استخدام البترول سلاحاً للمعركة ، على أن يكون واضحاً ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين رفع حظر تصدير البترول لاية دولة والتزامها بتأييد القضية العربية . وستواصل لجنة وزراء البترول متابعة

تنفيذ هذا القرار .

ثانياً : اتخاذ خطوات فعالة للتعاون بين الدول العربية والدول الافريقية ، تقديراً لموقف القارة المشرف من الامة العربية ، وفي هذا الصدد قرر الرؤساء .

أ — دعم التعاون العربي — الافريقي ، وتعزيز التمثيل الدبلوماسي العربي في افريقيا .

ب — قطع جميع العلاقات مع جنوب أفريقيا والبرتغال وروديسيا .

ج — تطبيق حظر تصدير البترول الى هذه البلاد .

وقد اتخذ الرؤساء قراراً بانشاء بنك عربي للتنمية الصناعية والزراعية في أفريقيا ، وحددوا رأس مال البنك بمبلغ ٢٥ مليون دولار كمرحلة اولى ، وتم الاكتتاب فعلا في رأس المال .

وسيدعو أمين الجامعة العربية المكتتبين الى اجتماع في أقرب وقت لمناقشة طريقة العمل . وقد كلف الرؤساء أمين الجامعة للقيام باتصالات مع الامانة العامة للدول الافريقية لتنظيم اتصالات دورية بين الدول العربية والافريقية .

ثالثاً : عقد اجتماعات دورية سنوية للملوك والرؤساء ، ويكون موعد الاجتماع في كل عام هو شهر ابريل . وعلى ذلك فسوف يعقد اجتماع القمة العربي القادم في شهر ابريل ١٩٧٤ .

رابعاً : تنظيم جولات لوزراء الخارجية العرب في مختلف أنحاء العالم مع لقاءات لهم بمختلف المنظمات الدولية تستهدف شرح الموقف العربي . وقد اجتمع وزراء الخارجية صباح أمس لوضع برنامج تحركهم المقبل » .

دور الملك فيصل في مؤتمر الجزائر

وقد أجمع المعلقون السياسيون ووكالات الصحف ، على أنه كان لجلالة الملك فيصل الكلمة الفاصلة في مقررات المؤتمر العربي الذي توصل الى النتائج الاساسية الثلاث التي يجب أن تتوافر في أي حل منتظر :

١ – الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة في عدوان عام ١٩٦٧ .

٢ – حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره .

٣ – عروبة القدس .

وتعتمد الدول العربية في تحقيق هذه المبادىء الثلاثة التي توجت أعمال المؤتمر ، على استمرار النضال السياسي العربي ، واستخدام سلاح النفط ضد الدول التي ساندت اسرائيل ، والعود الى الحرب اذا ما أخفقت مباحثات السلام .

وواكب هذا النشاط اتجاه ابحاث المؤتمر لتدعيم التضامن العربي – الافريقي لقطع الطريق على التوسع الاقتصادي الاسرائيلي في القارة الافريقية.

ولكي ندرك حقيقة الدور السعودي البالغ في مؤتمر الجزائر ، وبخاصة ما أسفرت عنه لقاءات الفيصل الثنائية مع العديد من قادة العرب ، علينا أن نمر مروراً سريعاً بما صرح به بعض المسؤولين من قادة الدول العربية ، مع الملاحظة بأن ما نقتبسه هنا ليس سوى غيض من فيض وقليل من كثير .

فقد جاء على لسان وزير خارجية تونس الاستاذ محمد المصمودي حول دور جلالته قوله :

« انه دور فعال وحاسم في هذه الظروف التي تمر بها الأمة العربية والاسلامية . ولقد كان لهذا الموقف الدور الأول في تغيير نظرة العالم الى العرب وقضاياهم » .

وصرح رئيس مجلس الشورى اليمني الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر بقوله :

« ان كل عربي يعتز بموقف جلالة الملك فيصل الذي وضع كل ثقله في جانب الحق العربي ، سواء كان ذلك بقواته المسلحة أو المال أو الحنكة السياسية الناضجة التي يحترمها الخصم قبل الصديق » .

أما وزير خارجية فولتا العليا جوزيف كومومبو ، فقد نعت العاهل السعودي بقوله :

« انه قائد عظيم له وزن دولي يستطيع التأثير به لصالح قضايا العدل والحق والسلام » .

وكتب النائب اللبناني الاديب الكبير الاستاذ ادوار حنين حول المعنى العميق للتصفيق الأطول الذي قوبل به الملك فيصل :

« لا لأنه فيصل العرب

« لا لأنه حارس المدينة المنورة

« لا لأنه أحد أكبر ملوك النفط في العالم

« بل لأنه يعبر عن رأي في موقف

« كان له هذا التصفيق الأطول والاكثر حدة » .

ونقول بحق ان هذا التعبير عن « الرأي » في « موقف » الفيصل ، هو الذي ساهم في انجاح المؤتمر العربي ، والتأييد على استمرار الكفاح بكافة صوره ، لاعادة الحقوق الشرعية ، والحرص على وحدة الصف العربي ، ومساندة جبهة المقاومة ... كل ذلك لضمان النصر .

الطّريق إلى تحرير فلسطين

« ان السبيل لمعالجة القضية الفلسطينية ووضعها في طريقها الصحيح ، يكمن في توحيد الجهدالعربي ،وتوفير الطاقات العربية ، وبذل المزيد من الاخلاص في العمل لقضية العرب الأولى » .

فيصل بن عبد العزيز

حركة التحرر العربي ونقيضتها الصهيونية

اذا كان القرن العشرون بحق قرن تحرر الشعوب ، والنهوض القومي ، ونجوم الدول المستقلة التي أخذت سمت الطريق الى النور ، ناهضة من سبات قرون العسف والعبودية والاضطهاد العرقي ، محطمة قيود التبعيــة والاستغلال ، عاملة على تحقيق الاستقلال الاقتصادي بجانب الاستقلال السياسي – فان انطلاقة الشعوب العربية في هذا المضمار ، قد سبقت بمراحل الكثير من دول العالم الثالث وأميركا اللاتينية .

ولم تتوقف حركة الانبعاث العربي على تحرر الأقطار العربية فحسب ، وانما أسهمت بتحرير العديد من الأمصار التي كانت ترتبط الى عهد قريب بعجلة الاستعمار العالمي ، وتقدمت بعض الدول العربية وفي مقدمتها المملكة السعودية لتمثل دوراً رائداً على الصعيد الدولي الشامل .

لكن هذه الحركة العربية الطاغية الموجة ، لم تكن على سائر المستويات سلسلة من الانتصارات ، وزخماً من التقدم ، وسيراً مضطرداً الى الأمام . وانما ابتليت – شأنها في ذلك شأن الكثير من الحركات التحررية الكبرى في التاريخ – بولادة حركة هي نقيضها التام ، وقد نمت بذورها في السراديب والجمعيات السرية والدعوات الثورية المشبوهة ، لترى النور أخيراً على التربة العربية بالذات ، وهي الحركة الصهيونية التي استطاعت ان توجد لها

رأس جسر في اولى الكعبتين وثالث الحرمين : فلسطين العربية المكافحة المناضلة الثائرة .

واذا كانت البذرة الأولى للصهيونية العالمية على الأرض الفلسطينية كانت مجرد وعد غامض هلامي التشكيل قطعه الوزير البريطاني بلفور في غمرة الحرب العالمية الأولى ، بأن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين ، فان هذا الوطن القومي ما لبث ان تحول الى دولة في أعقاب الحرب العالمية الثانية عندما فاجأ الرفيق ستالين كلاً من روزفلت وتشرشل في مؤتمر يالطا بوجوب منح اليهود دولة في فلسطين ، كما جاء في كتاب « يا قدس » للكاتبين الفرنسيين لاري كولينز ودومينيك لابيير . وهكذا استطاعت الموجات البشرية اليهودية التي كانت ما تفتأ تتدفق على الأرض الفلسطينية من مختلف بلدان العالم وفي مقدمتها روسيا واوروبا الشرقية ، ان تطالب بكيان مستقل لها .

فلسطين والدعوات الشيوعية المريبة

وما إن هل عام ١٩٤٨ حتى كانت الطامة الكبرى التي حلت بساحة الأمة العربية ، بظهور دولة اسرائيل على حساب فلسطين العربية التي حولت الشعب الفلسطيني الى شتات من النازحين يعاني أقسى ضروب التمزق والتشرد في عراء الهزيمة بعيداً عن الوطن السليب ، وذلك بعد ان مكرت به قوى الاستعمار العالمية والشيوعية الدولية ، وبعد ان ظل يعقوب ماليك واندريه غروميكو ممثلا الاتحاد السوفياتي يتعاقبان على منبر منظمة الأمم المتحدة طوال سنتين كاملتين ليوجها الى العرب كل وصمة وافتراء ، ويؤكدان « حق » يهود اوروبا واميركا وروسيا في « وطنهم » فلسطين ، داعيين العرب واليهود

الى التآخي والكفاح ضد ما سمياه «الرجعية العربية»، مؤكدين ان اسرائيل ستكون واحة الديمقراطية والاشتراكية في الصحراء العربية .

وما عتمت تلك الموجات البشرية الطارئة ان غدت دولة مجتمعة القوى متماسكة البنيان، تشكل تهديداً خطيراً للدول العربية المجاورة ، من خلال تكوينها كاستعمار استيطاني ذي أطماع توسعية لا تقف عند حدود ، وتجهد دائبة لطمس القضية الفلسطينية بوصفها قضية شعب سلبت أرضه واغتصب وطنه وغدا شعباً بلا أرض ولا وطن ، عبر السيطرة الصهيونية على العديد من الأوساط السياسية في عالمي الشيوعية والرأسمالية في آن معاً ، يمدها الأول بموجات المهاجرين المتلاحقة ، ويغذيها الثاني بمصل الحياة المادي ، حتى لكأن النقيضين اجتمعا على العالم العربي ، ويمكن ان يختلفا على كل شيء الا على رعاية دولة الصهاينة وترسيخ قواعدها على التربة العربية .

وهكذا لم تكن القضية الفلسطينية ، منذ تكونها ، قضية الشعب الفلسطيني وحسب ، رغم فداحة الكارثة التي حلت به ، وانما قضية الأمة العربية جمعاء ، يحمل عبئها الوطن العربي على امتداد أقطاره وأمصاره ، لأنه أدرك – فضلاً عن ان فلسطين جزء غال منه وفلذة مقتطعة من قلبه – خطر ذلك الجرثوم السرطاني الخبيث داخل كيانه ، يهدد وجوده وتطلعات مستقبله بالأخطار المحدقة ، والكوارث التي تجر إلى كوارث .

واتسعت دائرة القضية الفلسطينية محيطاً وتعددت أبعاداً ، حتى غدت قضية العالم الاسلامي الى جانب كونها قضية العرب الأولى ، بعد المساعي الحثيثة التي قام بها جلالة الملك فيصل ، حتى كادت تغدو الشغل الشاغل لسكان البسيطة جمعاء ، بل برميل البارود الذي لا يحتاج فتيله الا لشرارة

بسيطة حتّى تشتعل النار ويحل الدمار .

ومما يؤسف له حقاً ، أن بعض الأنظمة العربية التي ابتليت بمرض الطفولة الثورية ، بدلاً من أن توجه سلاحها الى صدر العدو ، استهدفت بعض الأقطار الشقيقة تارة ، واحتربت فيما بينها — مزايدة بالثورية — تارة أخرى ، وجعل البعض منها الطريق الى القدس يمر عبر عمان او غيرها من العواصم العربية ، وابتدع بعضها بدعة عجيبة حين زعمت ان الصراع بيننا وبين اسرائيل ليس صراعاً قومياً أو دينياً وانما صراعاً طبقياً ، ولم تكن هذه المقولة الشيوعية المصدّرة ، الا دعوة مشبوهة ترمي الى التعايش بين الشعوب العربية والشعب اليهودي في اسرائيل ، بحجة انهم جميعاً أبناء طبقة واحدة ، كأن فلسطين مصنع أو مزرعة وليست وطناً اغتصب وشعباً اقتلع من أرضه وقذف به تحت كل نجم .

وبينما كنا نتجادل في جنس الملائكة كما فعل البيزنطيون قبل أن تدول دولتهم وتحتل عاصمتهم ، ونتعصب لهذه الايديولوجية أو تلك — كأن النضال في سبيل الوطن في حاجة إلى ايديولوجية تفسره وفلسفة تبرره وليس نضالاً عفوياً بدهياً طبيعياً في سبيل الأرض والذات — كان الذي يضحك علينا جميعاً ، العدو المتربص بنا جميعاً !

القضية الفلسطينية ارث الاسرة السعودية

وكانت الدولة العربية الوحيدة التي وقفت في منأى عن تلك التفسيرات والفلسفات وفوق صراع الايديولوجيات ، المملكة السعودية التي تقوم سياستها الخارجية على مرتكزات واقعية نابعة من التراث العربي والاسلامي ، ومتجاوبة مع متطلبات الأوضاع العربية والاسلامية ، تلك المرتكزات

التي أرساها المغفور له الملك عبد العزيز ورفع صرحها الملك فيصل ، والتي يمكن اختصارها بكلمة واحدة هي الوقوف أبداً بجانب الحق والأخذ بيد المضطهدين في العالم .

وقد حدد فيصل ابن التربة العربية البكر ، سياسة بلاده على صعيد العلاقات الدولية ، في مبادىء ستة تتلاقى وطموح الشعوب الى السلام والعدل والاخاء العالمي والاستقلال التام ، وتشكل نبراس هداية ومنار حرية للشعوب المناضلة في مسيرتها التحررية الكبرى ، وهذه المبادىء هي :

١ – نزع السلاح نزعاً شاملاً تحت اشراف دولي فعال ، وعدم استعمال الذرة الا لأغراض ترمي لرفاه الشعوب .

٢ – تصفية الاستعمار بجميع أشكاله نهائياً في العالم .

٣ – اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالقضاء على التفرقة العنصرية بجميع أشكالها .

٤ – حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية القائمة على الحق والعدالة .

٥ – تأييد شعب فلسطين في كفاحه لاسترداد حقوقه في وطنه وتمكينه من ممارسة حقه في تقرير مصيره .

٦ – بذل الجهود لرفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لمختلف الشعوب .

ونحن اذا ما استعرضنا هذه النقاط المضيئة في السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية ، ألفيناها وثيقة الصلة محكمة الرباط بالقضية الفلسطينية ، فهي ترفض سائر أشكال الاستعمار والعنصرية والوجود الاسرائيلي افتك ضروب الاستعمار لأنه استعمار استيطاني قائم على العرقية والتفوق العنصري ، على حين ان القضية الفلسطينية تمثل أول ما تمثل وجه الانسانية

المكافح المنافح عن حق تقرير المصير في الأرض والوطن والكيان المستقل .

ولا يخفى ان الوجود الاسرائيلي يشكل بؤرة متوترة في العلاقات الدولية، لأن القضية لا تعدو في الأصل قضية اشتات شراذم مغتصبة تولد عن وجودها الاستيطاني وجود شعب مشرد ، ثم انتهت لتشكل عبئاً خطيراً على الدول العربية بمجموعها ، لأن هذه الدول عوضاً عن ان تتجه بكليتها نحو التنمية والاقتصاد المزدهر وتطرير الموارد ، واخيراً الى النهوض بشعوبها اجتماعياً واقتصادياً وحضارياً ، وجهت اهتمامها نحو الحفاظ على وجودها واستقلال شعوبها ، فاذا بميزانيات الدفاع ونفقات التسلح تستنزف الشطر الأكبر من ثرواتها الطبيعية ومواردها الصناعية والزراعية .

هذا من الوجهة المبدئية للسياسة الخارجية للعربية السعودية على الصعيد الدولي من القضية الفلسطينية ، على ان المملكة لا تقف عند حدود الشرعية الدولية ، والتزام جانب الحق المجرد ، وانما تعتبر القضية الفلسطينية منذ ان كانت ، قضية القضايا ، وهاجسها الدائم ، بل مرتكز تحركها عربياً واسلامياً ودولياً .. وليس أدل على ذلك من ترديد العاهل السعودي في كل مناسبة يرد فيها ذكر القضية الفلسطينية قوله :

« ان القضية الفلسطينية فضلاً عن كونها قضية حق شعب شرد ، وقضية مقدسات عربية استبيحت ، فقد كانت دائماً ارث الاسرة السعودية » .

والواقع ان المملكة العربية قد عاشت القضية الفلسطينية يوماً فيوماً ، منذ بروز الخطر الصهيوني حتى ظهور الدولة الاسرائيلية، واذا ما عدنا لتاريخ هذه القضية ـ المأساة ألفينا أن المغفور له الملك عبد العزيز قد أمد رجال الثورة الفلسطينية باستمرار بالعتاد والسلاح لمقاومة الزحف الاستعماري

الجديد .. ومما يرويه جلالة الفيصل عن والده أسد الجزيرة ، انه حول صفقة سلاح اشتراها من المانيا لتسليح جيشه بها ، الى المجاهدين الفلسطينيين وعلى رأسهم يومذاك الحاج أمين الحسيني ، ويضيف جلالته :

« ان ما فعله الملك عبد العزيز كان السابقة التي سار ويسير عليها الحكم السعودي ، وهي سياسة تتجاوب مع شعور المواطنين في المملكة وتتلاقى مع ميولهم القومية وأهدافهم الوطنية » .

موقف مبدئي ثابت مشفوع بالنضال المستمر

وحين تنادى العالم العربي الى مقاومة الكيان الدخيل ، بهدف القضاء عليه في مهده ، كانت المملكة السعودية في مقدمة الدول العربية الى معركة الانقاذ هذه ، ودخلت بجيشها فلسطين الى جانب الجيوش العربية الاخرى ، لكن مؤامرات الدول الكبرى ، والطاقات المحدودة للجيوش العربية يومذاك ، حالت دون الدول العربية وهدفها المشروع ، وبذا حلت النكبة في العالم العربي .

وقفى الفيصل على آثار والده العظيم ، يتابع المسيرة التي خاض غمارها ، متلقياً من يده الكريمة المشعل الذي حمل ، بقلب يعمره الإيمان بأن الحق لا بد من أن يعود إلى نصابه والمشرد الى وطنه .

وبكلمة تقال لوجه الحق ، ان الفيصل كان في هذا الظرف التاريخي ، المجاهد الاكبر والداعية الأول لحشد القوى العربية لمجابهة الدولة الاستعمارية الجديدة المتسلحة بأحدث آلات الدمار التي امدتها بها الدول السافرة والمتقنعة ، وأغدقتها عليها دونما حساب ، وبخاصة الولايات المتحدة الاميركية .

وجهر الفيصل بالدعوة لايجاد قوة عربية فاعلة ، عبر استراتيجية شاملة

لخلق جبهة عربية قوية موحدة ، تدعمها جبهة أشمل من العالم الاسلامي والدول الصديقة ، للحيلولة دون استشراء الخطر الصهيوني من جهة ، والاعداد للدخول في معركة فاصلة مع الكيان الاسرائيلي من جهة ثانية ، توسلاً لاعادة الحق السليب ، وانطلاقاً من مبدأ أن ما أخذ بالقوة لا يستعاد الا بالقوة والتصميم ، وعدم القبول المبدئي بما هو واقع اذا كان هذا الواقع يتنافى مع الحق والعدل . يقول الفيصل :

« ان المملكة العربية السعودية لم تكن في يوم من الأيام لتقر وجود اسرائيل من حيث المبدأ » .

وهذا التعبير السلبي الرافض لوجود اسرائيل ، ما كان ولن يكون مجرد تعبير عن رأي ، وانما هو موقف ثابت صامد مشفوع بالنضال ضد الخطر الصهيوني بجميع وجوهه ، ومنازلته في جميع مواقعه . يقول جلالته :

« ان موقف المملكة العربية السعودية ، كان في طليعة أخواتها العربيات في مكافحة الخطر الاسرائيلي . ونحن نعتقد ان أي عربي يتخلف عن تأييد اخوانه العرب في معركتهم المصيرية مع اسرائيل ، لا يستحق ان يطلق عليه اسم عربي » .

مضى وقت الكلام وجاء دور العمل

لقد أدركت المملكة العربية مدى الخطر الذي تشكله دولة اسرائيل على تطور الأوضاع في العالم العربي ، وان طريق الانتصار عليها لن يمر الا عبر اجماع كلمة العرب ، وتوحيد صفهم ، والتوجه الفعلي الى منازلة اسرائيل ، بعيداً عن الانفعالات العاطفية والحماسية ، والمزايدات اليسارية منها واليمينية ، فطريق التحرر ما كان ولن يكون عبر اطلاق الشعارات ،

وانما بتواجد الإرادات ، وصهرها كتلة واحدة في ارادة واحدة مقاتلة .

يقول الملك فيصل بهذا الصدد :

« في اعتقادي انه قبل أن نفكر في الحلول ، يجب أن نفكر في انفسنا ، فهل نحن حقيقة عازمون وجادون في أن نخلص فلسطين ؟ فاذا كان هذا صحيحاً ، واننا عازمون ، فاعتقد ان الوسائل يكون بحثها في الدرجة الثانية . أما الكلام والتصريح ، والوعد والوعيد ، فلا يتيح لقضية أو حق أن يستعاد أو يسترجع » .

أجل ، ان طريق التحرير الفلسطيني يستلزم اول ما يستلزم التخلي عن المراهقة السياسية ، والعزوف عن الجعجعة الكلامية ، والابتعاد عن التحركات الغوغائية ، ودخول معترك النضال بالتصميم الفعلي على القتال ، واستعمال القوة العربية بمردودها الأكبر ، باعتماد التخطيط العلمي ، وبعد النظر السياسي ،وحسن توزيع الأدوار ، وتحديد المهمات والمسؤوليات ، والتفريق بين من هم أصدقاء ثابتون وأصدقاء مرحليون ، أو أعداء يتظاهرون بالصداقة لأغراض استراتيجية خفية ومطامع بعيدة المدى .

ولا جدال في ان العالم العربي واسع الآفاق مترامي الأطراف ، وذو طاقات هائلة ، لكن هذه الطاقات ظلت مشتتة على مدى المراحل اللاحقة لبزوغ نجمة داود في فلسطين العربية ، ولذا اتجه القائد العربي الكبير الى انجاز المهمة الأساسية البالغة الخطورة ، وهي توحيد هذه الطاقات فعلياً ، وحشدها لاستئصال شأفة العدوان ، وتحويلها الى قوة محركة في التاريخ ، بل صانعة للتاريخ ، لا مجرد قوة استعراضية لا يعدو دورها دور البيدق على رقعة الشطرنج العالمي .

وكم كان القائد العربي على حق ، في الرد على ظاهرة التمزق ، وتشتت

التيارات السياسية في قوى متعارضة متناقضة متنافرة ، حين أطلقها كلمة مجلجلة في الدعوة الى وحدة الصف العربي والنضال المصيري المشترك :

« ان السبيل لمعالجة القضية الفلسطينية ووضعها في طريقها الصحيح ، يكمن في توحيد الجهد العربي ، وتوفير الطاقات العربية ، وبذل المزيد من الاخلاص في العمل لقضية العرب الأولى .

لقد مضى وقت الكلام وجاء دور العمل ، وعلينا جميعاً ان ندرك هذه الحقيقة ، كما علينا أن ندرك ان التضامن وتوحيد الصف العربي بكل طاقاته وامكاناته ، هو السبيل الى تحقيق أهداف الأمة العربية في استرداد فردوسها السليب » .

من الارتجالية والغوغائية الى التخطيط العلمي

وفي سبيل القضية الفلسطينية ناضل قائد العروبة ، وبذل الكثير من الجهد ضد سياسة الارتجال في التحرك العربي ، لادراكه مدى خطورة عدو الأمة العربية المدجج بالسلاح حتى الاسنان ، تدعمه قوى ظاهرة وأخرى خفية ، ومثل هذا العدو هيهات أن يحارب عبر الأثير ، ومن خلف المذياع ، وبالتهديدات العسكرية التي لا طائل تحتها .. ومثل هذه السياسة الحرقاء لا بد لها من أن تنعكس بسلبياتها على العالم العربي ومسيرته التحررية .

وقد كانت الهزيمة التي حلت بساحة العالم العربي في حزيران ١٩٦٧ ، درساً بليغاً لنا للابتعاد عن الارتجالية والغوغائية ، وبالتالي ضرورة سلوك طريق التخطيط العلمي الثابت .

يقول جلالته محللاً الأوضاع المؤسفة التي سبقت الهزيمة وكانت من أسبابها :

« ان التلويح بالتهديد لا يجدي نفعاً اذا لم يقترن بالعمل الجدي الرادع . ان التهديدات الكلامية العديدة التي أطلقها العرب منذ كارثة فلسطين ولمدة ستة عشر عاماً متوالية ، قد ذهبت كلها أدراج الرياح ، ولم تترك أثراً واحداً ، والتصميم الواعي والعمل المنظم هما الكفيلان باعادة الحق الى نصابه » .

ونحن اذا ما وقفنا وقفة متملية متأملة أمام النهج الاعلامي الذي سلكه العرب بحربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ ، رأينا ذلك البون الشاسع في الطريقة والاداء والمستوى .. وكيف كانت الغوغائية تسيّرنا فيما سلف ، وكيف تحكمت العقلانية بتصرفاتنا في الحرب الأخيرة، مما يأتي مصداقاً على النهج الفيصلي، وسداد نظرته السياسية ، وتجاوباً مع دعوته ورسالته، وهو بحد ذاته كسب خطير على الصعيد الاعلامي العربي ، ممهد للنصرالسياسي والفوز العسكري .

السّياسة السّعوديّة إسلاميّاً ودوليّاً

« آمن الرسول بما أنزل اليه من
ربه والمؤمنون ، كلٌّ آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق
بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا
وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير »

قرآن كريم
البقرة : ٢٨٥

مثلان هاديان من تاريخ العرب

ان من يقرأ تراث العرب يتجلى له بوضوح ما طبع عليه العقل العربي من الانفتاح ، والصراحة ، والروح الاجتماعية ، ودماثة الخلق ، والثورة للحق . ولعل لعامل البيئة الجغرافية فعله في تكوين هذاالعامل النفسي . فالعرب ما قبل الاسلام ، تعاطوا التجارة والاختلاف الى ديار الامم المختلفة ، ورحلتا الشتاء والصيف الوارد ذكرهما في القرآن الكريم ، اشهر من أن تعرّف في التاريخ العربي .

وقد كان العرب ، بحكم موقعهم الجغرافي الذي هو طريق القوافل العالمية الذي يربط الشرق بالغرب ، عاملاً مهماً في التجارة العالمية ، فكانت لهم تبعاً لذلك ، تحالفاتهم مع الشعوب والأمم قريبها وبعيدها ، ترسيخاً لكيانهم وتوطيداً لوجودهم ، لكن تلك التحالفات — بحكم الجوار والموقع الجغرافي والصراع العالمي القديم — كانت ذات ثمار خيّرة أحياناً ، وضارة أحياناً أخرى .. ويكفي أن نذكر ما كان يجري بين الغساسنة والمناذرة ، نتيجة ارتباط الأولين بدولة الروم ، والآخرين بدولة الفرس . وحين بزغ نور الاسلام ارتدت تلك التحالفات طابعاً جديداً ، حسب المراحل التي مرت بها والملابسات التي اكتنفتها .

ومن الذكريات التاريخية ذات الدلالة العميقة ، ان الرسول الكريم ، والمؤمنين من ورائه ، قد اكتأب واربد وجهه ، عندما تناهى اليه انكسار

الروم أمام الفرس .. ذلك لأن الروم ذوو كتاب ، يؤمنون بالله على رسالة السيد المسيح ، في حين كان الفرس من عبدة النار وأقرب الى الوثنية التي كان يعيش عليها القرشيون الذين هللوا للانتصار الفارسي .

لقد رجحت كفة الايمان اذن ثقل الرومي في المعيار الاسلامي ، بينما رجحت كفة الشرك قيمة الفارسي بالمنظار القرشي .. وبمعنى آخر كان تقييم هذه الحرب الدائرة خارج نطاق الجزيرة العربية ، حسب المبادىء والمبادىء وحدها .

ونحن اذا ما أردنا استعراض التحالفات العربية والاسلامية عبر التاريخ ، لأحوجنا ذلك الى كتابة سفر بكامله ، ولكننا نقف هنا عند حادث واحد له دلالته الواضحة ، وهو ان الرسول الأعظم عندما خاض معركة الخندق ضد قريش حاول أول ما حاول تحييد اليهود الذين كان يسكن في ظهرانيهم بالمدينة المنورة ، خوف أن تأتيه الطعنة منهم في الظهر .

فان أية أمة تخوض معركة كالتي نخوضها ، عليها أن تستكثر ما استطاعت من الأصدقاء ، وتقلل جهدها من الأعداء ، فاذا لم تستطع جر هؤلاء إلى صفها عملت على تحييدهم ان وجدت سبيلاً الى ذلك ، اسوة بخطة الرسول الكريم في معركة الخندق .

العمل الايجابي في خط التضامن الاسلامي

والمملكة العربية السعودية التي حملت على كتفيها عبء القضية الفلسطينية بل اعتبرتها ارثاً سعودياً ورسالة سعودية ، قد عملت أول ما عملت على توحيد كلمة العروبة ، ورص صفوف الأمة العربية ، حول هذه القضية المقدسة ، وصبرت في ذلك صبر المؤمنين الأولين ، ترد على الطعنات

باسداء العون ، والافتراء بالكلمة النصوح ، والتجريح برفع راية الحق .

واتبعت المملكة هذه الخطة الحكيمة ، بخطوة سديدة لا تقل عنها خطورة تجلت في ذلك السعي الناشط الحثيث لايجاد الجبهة الداعمة من الدول الصديقة غير العربية ، وفي مقدمتها الدول الاسلامية .

وكان ذلك الجهد الجاهد الذي بذله الاعلام السعودي والديبلوماسية السعودية ، والتحرك الذي قام به الملك فيصل شخصياً لدى الشعوب والأمم الاسلامية ، توسلاً لايجاد جبهة الدعم للحق العربي في فلسطين ، وبلوغ الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره .

وجاءت النكبة التي حلت بساحة العرب عام ١٩٦٧ لتعطي القضية الفلسطينية بعداً جديداً الى جانب البعد القومي بكل منطلقاته السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ويرتكز هذا البعد على ما تمثله القدس من أهمية كبرى للشعوب الاسلامية ، وبخاصة المسجد الأقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين .

وقد أخذت العربية السعودية ، بما تمثله من قيم روحية عليا ، بزمام المبادرة في سعي دائب نشيط لخلق جبهة التضامن الاسلامي في سبيل عروبة فلسطين ، واعادة القدس وما تضم من مقدسات لأصحابها الشرعيين .

وكانت القضية الفلسطينية محور العمل الايجابي الذي قاده جلالة الفيصل ذاتياً وشخصياً ، في خط التضامن الاسلامي ، بهدف حشد القوى الاسلامية الى جانب القوة العربية ، مما يرفد قضية العرب الأولى بدم جديد وطاقة جديدة على التحرك والانتصار .

وكم كان الفيصل على حق حينما صور النكبة الفلسطينية بطعنة في

ظهور المسلمين جميعاً ، نتيجة لانتهاكات الصهاينة الآثمين المقدسات الاسلامية . قال جلالته :

« فهناك أرض المعراج ، وهناك أولى القبلتين ، وهناك ثالث الحرمين ، فهو لنا جميعاً ، وليس لأحد دون أحد .. انه ليس للعرب دونكم ايها الإخوان ، ولكنه للمسلمين أجمعين » .

انبثاق الجبهة الاسلامية الواسعة

وأفلح جلالته الى حد كبير في جمع كلمة المسلمين لتدارس شؤونهم ، ومعالجة قضاياهم ، وفي طليعتها القضية الفلسطينية ، وعرف كيف يقف على منبر المؤتمر الاسلامي الذي عقد في المملكة ، ليشير الى أم القضايا العربية الاسلامية بقوله :

« لا يمكن أن نتجاهل قضية هي قضيتكم ، وانني لا أبحثها من الناحية السياسية أو الخاصة ، ولكنني أعرضها قضية اسلامية تهم كل مسلم في أنحاء الأرض ، هذه القضية هي قضية فلسطين السليبة .

ان هذه القضية ليست قضية سياسية ، ولا قضية اقتصادية ، لكنها قضية انسانية اسلامية » .

ولم تلبث تلك الطاقة الروحية العظمى ، ان انقلبت الى قوة مادية فاعلة ، وانبثقت تلك الجبهة الاسلامية العريضة الواسعة الدائمة ، تقف مساندة للجبهة العربية المكافحة المنافحة ضد الوجود الصهيوني الدخيل ، وجاءت مقررات المؤتمرات الاسلامية التعبير الواضح عن التفهم الشامل لقضية الشعب العربي الفلسطيني ، ولموقف الدول العربية من الهجمة البربرية

الجديدة التي تقودها الصهيونية العالمية .. وعلى ذلك جاء في أحد قرارات المؤتمرات الاسلامية :

« يعلن المؤتمر ان قضية فلسطين هي قضية اسلامية ، بل هي القضية الأولى في العالم الاسلامي ، ويقرر ان الحركة الصهيونية هي حركة عدوانية استعمارية ، وانها باغتصابها جزءاً عزيزاً من أرض فلسطين المقدسة قد أعلنت حرباً عدوانية على المسلمين ، وعلى المبادىء الانسانية ، وعلى حرية الشعوب ولا سيما الشعوب الاسلامية ، ويدعو العالم الاسلامي والشعوب الحرة عامة الى مؤازرة الشعب الفلسطيني مؤازرة جدية فعالة في تحرير وطنه المغتصب » .

وكما سعى جلالته الى توحيد كلمة العرب واطراح الحزبية الضيقة والمصالح الشخصية بعيداً عن منظور الصراع العربي الصهيوني ، كذلك كانت دعوته الى التضامن الاسلامي ، ذوداً عن القضية الفلسطينية ، بعيداً عن النزعة العنصرية ، واقصاء للسياسة الحزبية ، والاتجاه اتجاهاً تحررياً اسلامياً خالصاً لاعادة الحق المغتصب .

قال جلالته في احدى خطبه بحجاج بيت الله الحرام :

« أيها الاخوة المسلمون ، نريدها غضبة ونهضة اسلامية ، لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية .. انها دعوة اسلامية ، دعوة الى الجهاد في سبيل الله ، في سبيل ديننا وعقيدتنا ، دفاعاً عن مقدساتنا وحرماتنا ، وأرجو سبحانه وتعالى ، انه اذا كتب لي الموت ان يكتب لي الموت شهيداً في سبيل الله » .

لسنا أعداء اليهود ولكننا أعداء الاعتداء والاغتصاب

ويجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند نقطة تتعلق بطبيعة الصراع العربي —

الاسرائيلي ، ومناداة الفيصل بنهضة وغضبة اسلامية ، في منأى عن العنصرية والقومية والحزبية ، لأن النضال العربي ضد اسرائيل لا يعتمد المنطلقات العنصرية التي من بعض معانيها سحق الجنس اليهودي وابادته كما فعلت النازية مثلاً ، وانما يعتمد النضال ضد القوى العنصرية الاستعمارية بوجهها الصهيوني المتجسد في اسرائيل .

ولقد سبق للفيصل أن عالج هذا الموضوع بالتفصيل ، في حديث له مع احد الصحفيين الغربيين بمدينة نيويورك عام ١٩٦٦ ، ليمحو من ذهن الغربيين تلك الدعاية الصهيونية التي تصم العرب بنقيصتها هي : أي العنصرية ، وبانهم يهدفون الى القضاء على اليهود كعنصر والقائهم في البحر . قال جلالته :

« الحقيقة انني أحب أن أقف عند هذه النقطة بعض الوقت ، فان المفهوم في هذه البلاد وفي غيرها من بلاد العالم ، من مخطط الدعاية الاسرائيلية ، اننا نريد شراً باليهود ، أو أننا نريد أن نقذف بكل يهودي في البحر . ونحن لم نقل هذا ، ولم نسع اليه ، ولكننا في كل هـذه الأوقات كنا نعترف باليهود الذين هم من أصل فلسطيني ، والذين لم يأتوا من الخارج ، لأنهم مواطنون فلسطينيون ، ويعيشون مع اخوانهم المواطنين العرب » .

ويتابع الفيصل ، وهو يشرح القضية الفلسطينية على انها صراع بين أصحاب حق شردتهم قوى الاغتصاب ، وبين قوى تمثل الاستعمار الجديد بأبشع صوره من عنصرية وبربرية ، وتوسع استعماري بصيغة استيطانية :

« ولكن اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية ، هي التي خلقت هذا الشعور بأننا أعداء ، وهذا مغاير للحقيقة ، فنحن أعداء لكل اعتداء ،

ولأن اسرائيل اعتدت على العرب في وطنهم وأخرجتهم وشردتهم من بيوتهم وأراضيهم ، وألجأتهم الى المخيمات والملاجىء ، واحتلت بلادهم بيهود لا يرجع أصلهم الى يهود فلسطين ، ولا يرجع أصلهم الى البلاد التي يحتلونها الآن ، ولكنهم اتوا من بلاد شتى ، فنحن لا نعترف بأن هؤلاء فلسطينيون ، ولكننا نعتبرهم غرباء على البلاد التي احتلوها بالقوة ، وطردوا أهلها ، وفي هذا اعتداء صريح على حق الانسان ، وحق البشرية ، وحق كل شعب في بلاده » .

دفاعاً عن عروبة القدس

وهكذا فان تحرك المملكة كان على أكثر من صعيد ، واتخذ أكثر من جبهة ، خدمة للقضية الفلسطينية عربياً واسلامياً ودولياً ، من خلال توسيع جبهة الاصدقاء ، وتحييد الأعداء ، وكشف غلالة الضلال عن أعينهم ، والزيغ عن أفئدتهم ، كي لا تبقى الحركة الصهيونية بوسائل اعلامها الرهيبة ، تصول وتجول وحدها في الميدان الدولي .

واحقاقاً للحق ، وتمشياً مع القاعدة التي لا تحمّل الصديق أكثر مما يستطيع ، لا بد للعالم العربي من تحمل العبء الأكبر في القضية الفلسطينية ، لأن العرب هم المعنيون قبل أي كائن آخر ، بالنضال من خلال روح التضامن القومي . وكما يقول جلالته : « هم في المقدمة بالنسبة لقضية فلسطين » ، لكن على الإخوة المسلمين أن يتحملوا نصيباً من هذا العبء ، وعليهم مسؤولية تاريخية ملقاة على عاتقهم تفرض عليهم ان يقفوا « صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، أمام أعداء الدين ، وأمام أعداء المسلمين ، وأمام أعداء الحق والعدالة » .

ولقد نافح الملك فيصل عن عروبة القدس ، وصيانة مقدساتها من عبث الصهيونية منافحة الابطال الميامين ، وهو ما ينفك يذكرها ويؤكد على ضرورة تحريرها في كل مجلس من مجالسه ولقاء من لقاءاته السياسية ، حتى ان الصهيونية العالمية وما وراءها من دول مؤيدة لها قد اتهمت جلالته بالتعصب الديني تجاه موقفه من قضية القدس بالذات ، اذ كان شعاره دائماً ألاّ مساومة على عروبتها ولا تفريط في شبر واحد منها . وقد كتب مراسل « اليونايتدبرس » لوكالته قائلاً :

« ان جلالة الملك فيصل مصمم على تحرير القدس . ان جلالة الفيصل كان فعالاً في تنظيم عملية تخفيض انتاج النفط التي تركت آثاراً بعيدة في انحاء العالم . ان الملك فيصل الذي يبدو عليه الهدوء وضبط النفس الى حد كبير ، قد فعل الكثير لوضع الخطوط العريضة للاستراتيجية العربية في المستقبل » .

وذكرت تلك الوكالة تأكيداً للنبأ الأول قالت فيه :

« ان جلالة الملك فيصل من أقوى المناضلين ضد اسرائيل وحلفائها ، وان العالم كله ليقف مبهوتاً دهشاً أمام التصلب القوي العنيد والتصميم الأكيد الشديد الذي اتسم به جلالة الفيصل لمصلحة القضية العربية » .

وليس من خلاف في أن هذا التصلب هو عين الموقف الثابت الذي لا يتزعزع ولا يتراجع خدمة لقضية العروبة التي هي كل لا يتجزأ ، سواء في ذلك القضية الفلسطينية ، وعروبة القدس ، وتحرير الأرض . . وأخيراً التأكيد على دور العالم العربي في مجمل الأوضاع الدولية الراهنة .

التحرك الاسلامي في حرب رمضان

وفي غمرة حرب رمضان واعقابها ، وتلبية لنداء الفيصل ، تحركت

الدول الاسلامية من صعيد التأييد الأخوي الى واقع الفعل ، بحشد الطاقات الاسلامية على صعيد القوة العسكرية ، وكان على رأس المستجيبين للدعوة الفيصلية دولة باكستان أرض الطهر ، التي أخذ رئيسها علي بوتو يتنقل بين العواصم الاسلامية لتأليف جبهة اسلامية مساندة بينما كان مواطنوها يتظاهرون في الشوارع والجوامع تأييداً للحق العربي ، ويقبلون على السفارة المصرية أفواجاً لتسجيل أسمائهم كمتطوعين مطالبين بنقلهم فوراً إلى جبهات القتال ، وقد خطب وزير الاعلام الباكستاني مولانا كوثر نيازي بالحشود الضخمة من المتظاهرين قائلاً :

« ان باكستان لن تترك أشقاءها العرب وحدهم في كفاحهم لحماية وانقاذ الاماكن الاسلامية المقدسة ، وسيجد العرب في باكستان دائماً شقيقاً يقف الى جانب العرب دون تردد ، ولن تسمح هذه البلاد للصهيونيين بالنجاح في تحقيق أهدافهم في الاماكن المقدسة » .

وكذلك فتحت الحكومة الاندونيسية باب التطوع للجهاد في سبيل عروبة القدس وفلسطين ، وبلغ عدد المتطوعين في أيام قلائل عشرات الالوف ، ولم يحل دون انتقالهم وانتقال اخوانهم الباكستانيين الى جبهات القتال ، الا صمت المدافع وانتقال القضية برمتها الى أيدي المؤتمرين في جنيف .

وأما تحرك الدول الاسلامية في افريقية فأكبر من أن يقيّم ، اذ بادرت الدول الاسلامية الافريقية التي لم تكن قد قطعت علاقاتها الديبلوماسية بعد باسرائيل ، الى قطع هذه العلاقات احتجاجاً على العدوان الاسرائيلي وتضامناً مع الحق العربي ، وتضامنت معها بقية الدول الافريقية غير الاسلامية ، باستثناء الدول العنصرية التي نبذها العالم بأسره لسياستها الفاشية ومواقفها المجرمة ، ويكفي هذا دليلاً دامغاً على حقيقة اسرائيل ، وعلى تعاظم عزلتها

في المجال الدولي .

وقد أشار سمو الامير فواز بن عبد العزيز في تصريح له الى جريدة « المدينة المنورة » الى أبعاد هذا التحرك الاسلامي في حرب رمضان بقوله :

« لقد استطاعت دعوة التضامن الاسلامي الخيّرة ، ان تستقطب جميع الدول الاسلامية في مختلف القارات بالعالم ، وان توحد مواقفها لتجعل من قضية فلسطين قضية الاسلام الأولى ، وهذا أكبر نصر لنا ولله الحمد ، ولا شك في أنه منذ بدء الحرب بين العرب واليهود ، فان موقف العالم الاسلامي لا يمكن أن نقول عنه الا أنه مشرف وممتاز .

« ولقد شارك المسلمون في مختلف أقطارهم ، اخوتهم الذين يقاتلون العدو الصهيوني الباغي ، فهم يشاركوننا بكل ما يملكون . ومواقف الدول الاسلامية واضحة تماماً ، ولا لبس فيها ، وكلها معنا قلباً وقالباً .. والدول الافريقية تقف الى جوارنا بعد ان رأت الحق العربي واضحاً ، وهناك الآن سبع عشرة دولة افريقية قطعت علاقاتها الديبلوماسية باسرائيل انتصاراً للحق العربي » .

لقاء مكة والفاتيكان في سبيل تحرير القدس

لكن هل اكتفت المملكة السعودية بما حققت من انتصارات في هذا الصدد؟ ان النفوس الكبيرة لا تعرف التوقف بفعالياتها ونشاطاتها عند حد يمكن ان تستريح عنده ، وهي ما تفتأ تطلب المزيد :

على قدر أهل العزم تـأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وهكذا أخذت دائرة النشاط الفيصلي بالاتساع شيئاً فشيئاً ، منتقلاً من

الصعيد العربي الى المحيط الاسلامي تدرجاً الى الصعيد العالمي ، وعلى أعلى المستويات السياسية والقيم الروحية ، وهدف جلالته ألا يكتفي بتطويق اسرائيل عربياً ، ولا اسلامياً فحسب ، وانما عالمياً كذلك ، وعلى وجه التحديد مجابهتها بطاقتي مكة والفاتيكان الروحيتين معاً .

ولا يخفى ان العالم العربي كان مهد الديانات السماوية ، وان القدس بالذات الرمز الحي للديانتين الكبريين الاسلامية والمسيحية ، وان نصارى المشرق تجمعهم بمسلميه راية العروبة الخالدة وان كان الفاتيكان قبلتهم الروحية .

وقد أدركت اسرائيل دائماً أهمية هذا الخطر ، وعمدت جاهدة لافتعال عوامل الفرقة ما بين أبناء الديانتين الكبيرتين ، لكن ردود الفعل على هذا التحرك الآثم كانت تلك الجبهة العريضة الموحدة للأمناء على تلك القيم الروحية الاسلامية – المسيحية التي كان من ثمارها لقاء القمة المسيحية الاسلامية في ذلك الاجتماع التاريخي الذي ضم قداسة البابا والرئيس جعفر النميري والامبراطور هيلاسلاسي مندوبين عن جلالة الملك فيصل ، في مؤتمر للسلام بحثاً عن حل منشود وعادل لمصير مدينة السلام .

وعبر الرئيس النميري عن هذا الاتجاه العربي الاسلامي المسيحي ، لتآلف الاديان ، بقوله :

« ان السلام الذي نبحث عنه عبر مطلبنا الرامي الى تحرير القدس ، ليس سلاماً بين الشعوب التي تسكن منطقة الشرق الأوسط وحسب ، بل سلاماً بين الاديان أيضاً .. السلام الذي نريده يتجاوز شعوب المنطقة ليصل الى جميع أنحاء العالم المؤمن بالأديان السماوية الثلاثة » .

ولاقت المساعي العربية الاسلامية المسيحية صداها الطيب لدى قداسة

البابا ، لاسيما وان الفاتيكان لم يقر الاعتراف باسرائيل ، ويرفض على الدوام سيطرة القوى العنصرية المتعصبة على مدينة القدس التي يجب ان تظل مفتوحة لكافة الأديان .

وقد نقلت مجلة « الحوادث » بتاريخ الرابع من كانون الثاني – يناير ١٩٧٤ ، عن أوساط الفاتيكان ، ذلك التجاوب الخير الذي أسفر عنه اللقاء التاريخي ما بين الاسلام والمسيحية ، وبالتالي هاجس تخوف العنصرية الصهيونية من قيام جبهة موحدة لتحرير القدس ، فكتبت تقول :

« تقول أوساط الفاتيكان ان البابا يجد نفسه لاول مرة أمام استراتيجية دينية ذات خطة بعيدة المدى بهدف تحرير القدس ، ولقد اشترك معه في وضع هذه الاستراتيجية رئيس مسلم هو جعفر النميري الذي يجمع الصفتين العربية والافريقية . وكان النميري قد زار الرياض واتفق مع الملك فيصل على الخطوات التي تمت في الفاتيكان مؤخرا . كما انه عرض مهمته على مؤتمر الجزائر الذي كلفه أيضاً بنقل كلمة الزعماء العرب .

ولقد قرر البابا – اثر اجتماعه بالموفدين الاربعة – ارسال شخصين عنه الى جميع الدول التي تتبادل مع الفاتيكان التمثيل الديبلوماسي ، وذلك لابلاغ قادة هذه الدول ان الفاتيكان يرفض نهائياً وضع القدس الحالي ، ويستنكر ابقاء المدينة المقدسة تحت يد او اشراف جهة واحدة . كما قرر أيضاً توجيه خطاب مفتوح الى العالم ، يتحدث فيه باسهاب عن تفاصيل لقاء القمة الاسلامي – المسيحي في روما .

وذكرت مصادر مأذونة في الفاتيكان ان مضمون الخطاب سيكون مكرساً لرفض بقاء الاحتلال الاسرائيلي لمدينة القدس ... والدعوة لجلاء القوات المحتلة عنها فورا ، على أن تترك حرة أمام جميع المؤمنين بقدسيتها ،

وسيكرر البابا موقفه المبدئي من وجود الدولة الاسرائيلية ورفضه الاعتراف بشرعية اسرائيل طالما انها لم تنفذ قرارات الامم المتحدة وتستهتر بالاديان ، وتعارض في تنفيذ التوصيات النابعة من الاعراف الدولية ، وأقلها حرية احترام أماكن العبادة للجميع وعدم الاستيلاء عليها بالقوة !

وكانت اسرائيل دائماً متخوفة من ظهور خطة موحدة مسيحية – اسلامية تهدف الى تحرير مدينة القدس . لهذا سعت جيدا الى عزل الموقف المسيحي الغربي عن موقف الفاتيكان بحيث لا يترجم التعاطف الديني الى ضغط سياسي . كما انها من جهة أخرى حاولت ان تظهر حرب تشرين بأنها معركة ثأرية جرب العرب من خلالها الانتقام لمعركة « بواتييه » ، وفي مجلة « تايم » التي صودرت أعدادها في العالم العربي ، شددت على القول ان هذا الصراع هو بين النبي اليشاع وبين المحمديين . وكان الغرض من وراء هذا التفسير الاعلامي المدروس هو عزل العالم المسيحي عن العالم الاسلامي وذلك عن طريق الادعاء بأن المعركة هي دينية وليست سياسية » .

وما من ريب في ان لقاء مكة والفاتيكان بادرة خير للبشرية جمعاء ، يبشر بقيام استراتيجية جديدة في هذه المنطقة الملتهبة ، لن تكون مجرد دعوة لقيام عهد جديد متطور في لقاء الاديان ، واعادة الحق الى نصابه فحسب ، وانما ستكون اول ما تكون مسماراً في نعش العنصرية المقيتة ، وقبراً للعرقية البغيضة .

وليس بدعاً في أن النضال العربي ، نتيجة للاستراتيجية الفيصلية ، اذا ما لقي الدعم الاسلامي ، ووقفت من ورائه القوى الخيرة في العالم ، وأجمعت الكلمة على استلهام المثل العليا والمبادىء الفضلى ، لن تؤدي فقط الى تحويل مجرى حياة العرب والمسلمين إلى ما هو اسمى وأرقى ، وانما سيكحل ناظر البشرية جمعاء بمرود النور ، وستسير قافلة الانسانية كافة في دروب الصلاح والفلاح .

القُدْسُ وَهَيْكَلُ سُلَيْمَان

« من المعلوم ان اليهود ليس لهم مقدسات ولا علاقة لهم في القدس ، كانوا يدعون ان هناك هيكل سليمان ، وفي الحقيقة أنه عندما استولى الرومان على القدس نقلوا الهيكـــل المسمى بهيكل سليمان من القدس ، لهذا فليس لليهود أي علاقة أو أي حق في القدس من سلطة أو تصرف » .

فيصل بن عبد العزيز

هدم الروم هيكل سليمان ونقلوا محتوياته

في خطبة الحج الأخيرة التي القاها فيصل بن عبد العزيز الزعيم الروحي للعالم الاسلامي في وفود الحجاج المسلمين ، عرف جلالته كيف يستعرض التاريخ اليهودي ، ويفند الادعاءات الاسرائيلية حول ما يسمى « هيكل سليمان » ، وكيف ان القدس بلد الأديان هي لشعبها العربي ، كما أكد قداسة البابا ، وان سكانها العرب قد سيموا عذاب التشرد وانتهاك الحرمات .. قال جلالته :

« مما يؤسف له اننا نسمع في العالم من يدعي ان لليهود الحق في البلاد المقدسة ، في القدس . انه من المعلوم ان اليهود ليس لهم مقدسات ولا علاقة لهم في القدس ، كانوا يدّعون ان هناك هيكلاً لسليمان ، وفي الحقيقة انه عندما استولى الرومان على القدس نقلرا الهيكل المسمى بهيكل سليمان من القدس . لهذا فليس لليهود أي علاقة أو أي حق في القدس من سلطة أو تصرف . وكما هو معروف لديكم أيها الأخوة ، ان اليهود انحرفوا عما جاء به نبي الله موسى عليه السلام ، وكذلك حينما ابتعث ربنا نبيه عيسى عليه السلام لتصحيح ما أدخله اليهود على ما أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام ، قام اليهود ضد نبي الله عيسى ، وحاولوا قتله ، لأنهم لا يريدون ان تتحقق كل التوجيهات ، وكل ما أمر الله به ، وقد أخبر الله انهم ملعونون على لسان انبيائه ... » .

المراجع التاريخية تصف تدمير الهيكل

وليس هنا مجال البحث التاريخي المسهب ، لنثبت بالوقائع والتواريخ ما جاء في خطاب الملك فيصل عن هيكل سليمان ، ولكننا سنكتفي بنقل خمس شهادات من أكبر الموسوعات التاريخية المعتمدة في الجامعات الكبرى كمراجع أساسية :

فقد جاء في الصفحة ٦٥٥ من المجلد الثالث من موسوعة « تاريخ العالم » باشراف السير جون هامرتن :

« ... واندلعت الفتنة في اورشليم فجأة ، وذبحت الحامية الرومانية ، وانتشرت الثورة ، وهكذا أعد آخر مشهد في هذه المسرحية . وكان لزاماً على روما الآن أن تمد ذراعها لتبطش بالثائرين .

وبدأ الحملة فسباسيان على رأس جيش عدته ٦٠,٠٠٠ مقاتل في سنة ٦٧ ميلادية ، وقد ترك لنا المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي شارك بنفسه في مراحل القتال الأولى في الجليل ، وصفاً للحملة مفصلاً ينبض بالحياة ، وفي سنة ٦٩ ميلادية ، ترك فسباسيان ولده تيطس على أبواب اورشليم ليواصل حصار المدينة ، بعد ان ولته فرق الجند السورية امبراطوراً في ذلك العام . واستطاع الجيش الروماني في النهاية ان يفتح ثغرات في حصون المدينة ، واختتمت آلام الجوع والوباء والتقتيل بالاستيلاء على الهيكل وما حوله في ٩ أغسطس سنة ٧٠ ميلادية ، ودنت بذلك دولة اليهودية من النهاية » .

وجاء في الصفحة ٢٨٧ من الجزء الأول من « موسوعة تاريخ العالم » باشراف وليام لانجر :

« شبت الثورة في فلسطين نتيجة لسوء ادارة عدد من حكامها الرومان ،

وحين عجز حاكم سوريا عن اخمادها ، ارسل اليها فسباسيان بوصفه مبعوثاً شخصياً للامبراطور مع ثلاث فرق (سنة ٦٧ م) ، واستطاع ان يعيد الهدوء تدريجياً ، وأسر المؤرخ اليهودي يوسف الذي عرف بميوله الرومانية ، وضُرب حصار حول بيت المقدس (سنة ٧٠ م) . وبعد أن أعلن فسباسيان امبراطوراً ، ترك ابنه تيطس ليكمل عملية الحصار حول القائد حنا الجيشي الذي أقصى منافسه اليعازار . وسقطت بيت المقدس في ٧ سبتمبر ، وأقام تيطس حفلاً لانتصاره في سنة ٧١ ، خلدت ذكراه على « قوس تيطس » الذي لايزال قائماً حتى اليوم في روما . ومنح جزء من فلسطين لمرقص يوليوس (هيرود) اغريبا الثاني، ابن اغريبا الأول ، لكن معظمها تحول الى ممتلكات امبراطورية ، ودمر المعبد ، والغي المجلس اليهودي القومي ، كما الغي منصب الكاهن الأكبر ، وتحولت ضريبة الدراخمتين التي كان اليهود يدفعونها للمعبد الى حساب خاص فتح في الخزانة الامبراطورية وسمي حساب فلسطين، وعسكرت في بيت المقدس قوة يقودها أحد أفراد طبقة السناتو ، وتمتع هذا بسلطات تعلو به فوق سلطات الحاكم الأصلي » .

ويضيف المؤلف في الصفحة ٢٩٩ ـ ٣٠٠ من الجزء الأول من موسوعته التاريخية :

« وفي الأعوام ١٣٢ ـ ١٣٥ ، ثار يهود جواديا بسبب انشاء مستعمرة رومانية (ايليا كابيتولينا) في بيت المقدس ، واقامة معبد للإله جوبيتر الكابيتولي مكان معبدهم ، وتزعم الثوار الكاهن اليعازار والمتعصب سيمون باركو شيبا . وأدى اخماد الثورة الى اخلاء جواديا من سكانها اخلاء يكاد يكون تاماً . ومنذ ذلك الحين لم يعد في وسع اليهود أن يدخلوا بيت المقدس

سوى مرة واحدة في العام ، وبذلك كملت عملية تشريد اليهود التي بدأها فسباسيان ، وبقي هؤلاء المشردون حتى سنة ١٩١٩ مشتتين ومحتقرين بين شعوب الأرض لا تجمع بينهم سوى الوحدة العنصرية والدينية » .

وجاء في الصفحة ١٧٣ من كتاب « التاريخ العام للكليات والمدارس العالية » تأليف فيليب فان نس مير :

« ومن أشهر حوادث ملك فسباسيان أخذ أورشليم ودمارها ، فبعد حصار من أشد ما ذكر في التاريخ ضيقاً ، أخذ المدينة تيطس بن فسباسيان فأخرب الهيكل وهلك اليهود الذين كانوا قد احتشدوا في المدينة ، وامتثل تيطس طريقة نبوخذنصّر فنهب من الهيكل آنيته المقدسة وحملها طرائف »

ويضيف المؤلف في الصفحة ١٧٥ في معرض حديثه عن حكم الامبراطور هادريان ، قوله :

« وفي السنة ١٣٢ م كان اليهود قد استردوا شيئاً من قوتهم بعد ضربة تيطس التي ضرب بها أمتهم ، فثاروا مستميتين من جراء انشاء الرومان مستعمرة في أرض اورشليم التي كادت تكون جرداء ، ولنصبهم تمثال جوبيتر في الهيكل ، فقتل من اليهود على ما يقال ما يربو على نصف مليون في تلك الكارثة التي بعثهم عليها اليأس ، ونفي الدين سلموا ، وهو تشتت جنسهم لآخر مرة (١٣٥ م) » .

ويلز يصف الهيكل وحكم سليمان

وقال هـ. ج. ويلز في الصفحات ٢٠١ ـ ٢٩٨ من الجزء الأول من كتابه الشهير « معالم تاريخ الانسانية » .

« كانت بداية حكم سليمان مخضبة بالدماء كحكم أبيه سواء . وآخر

ما سجل من حديث داود تدبيره لولده الوسيلة لقتل شمعي ، وآخر ما سجل من كلماته هي « الدم » اذ يقول لأبنه (واحدر شيبته بالدم الى الهاوية) هكذا يقول مشيراً الى أنه كان شمعي الشيخ يحميه القسم الذي أخذه داود على نفسه للرب ما دام حياً ، فما من عهد يرتبط به سليمان في هذا الشأن . ويغلو سليمان فيقتل أخاه الذي حاول أن يغتصب العرش ، ثم ما لبث ان تخاذل وقدم الطاعة . ومن ثم أخذ يتصرف بملء حريته في أنصار أخيه . وان ضعف سلطان الدين على العبرانيين المختلطة أجناسهم والمبلبلة في ذلك الأوان عقولهم ، ليتضح من السهولة التي يستبدل بها سليمان برئيس الكهنة المعادي له نصيره صادوق ، كما يتضح ذلك بشكل أدعى للعجب من قتل يوآب في الهيكل على يد بناياهو أعظم صنائعه اجراماً ، على حين لاذت الضحية بقدس حرم المعبد ، واستمسكت بقرني مذبح يهوه . ثم شرع سليمان بعد ذلك يجدّ في العمل ، بأسلوب كان يعد بالنسبة لذلك الزمان ذا روح عصرية حقة ، فعمد الى صوغ ديانة شعبه في قالب جديد ، وقد استمر في تحالفه مع حيرام ملك صور ، وطفق هذا يستخدم مملكة سليمان طريقاً عاماً يسلكه لينفذ بوساطته الى البحر الأحمر فيبني فيه السفن . ونتيجة لهذه الشركة بينهما تكدست في اورشليم ثروة لم يسمع بها من قبل .

« وقد ظهرت فرق العمال عند بني اسرائيل ، فكان سليمان يرسل أفواجاً من العمال تحل احداها محل الأخرى لقطع أخشاب الأرز من لبنان في عهد حيرام . كما انه نظم في ارجاء بلاده مجاميع من الحمالين (وفي هذا كله الكثير مما يذكر القارىء بعلاقات أحد الرؤساء في افريقيا الوسطى بهيئة تجارية اوروبية) . وبعد ذلك بنى سليمان لنفسه قصراً ، ومعبداً

ليهوه الرب لا يكاد يضارع قصره في الضخامة » .

« ... وهناك من الشواهد ما يدل على أن قصة حكم سليمان الأصلية على صورتها البدائية الأولى المقبولة عقلاً ، وقصة ما أتاه من اغتيالات متنوعة ، وارتباطه بحيرام ، وابتنائه القصر والمعبد ، وذلك البذخ الذي أوهن مملكته ثم فرقها آخر الأمر شطرين ، قد تعرضت (أعني القصة) لحشو واضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر ، كان شغوفاً بالمبالغة في وصف رخاء عصر سليمان ، مولعاً بتمجيد حكمته » ... « ومما يشهد بقوة تأثير القول المكتوب وتغلبه على الحقائق الماثلة في أذهان الناس ، أن رواية الكتاب المقدس هذه استطاعت ان تحمل العالم المسيحي بل الاسلامي على الاعتقاد بأن الملك سليمان لم يكن من أشد الملوك عظمة وأبهة فحسب ، بل كان أيضاً من أحكم الرجال . فان سفر الملوك الأول يسهب في الكتابة عن أقصى ما وصل اليه مجده من أبهة وفخامة ، واذا قيست هذه الى جمال وعجائب المباني والتنظيمات التي قام بها عاهل عظيم كتحوتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو نفر من الفراعين الأخر ، أو سرجون الثاني أو سردنا بالوس أو نبوخذنصر العظيم ، فانها تبدو من التوافه الهينات » .

ويصف ويلز هيكل سليمان ومجده بقوله : « كانت مساحة معبده من الداخل ، عشرين ذراعاً عرضاً أي ما يقرب من خمسة وثلاثين قدماً (وهذا لا يزيد عن عرض فيلا للسكنى العادية) ، وستين ذراعاً أي مائة قدم طولاً . وتختلف الأقوال في تقدير الذراع ، وهو على أكبر تقدير يعادل أربعاً وأربعين بوصة . وعلى هذا الاعتبار يتسع العرض فيصبح سبعين قدماً ليس غير ، ويصبح الطول مائتي قدم . فأما حكمته ومعرفته بأصول الحكم وتدبير السياسة ، فما القارىء بمحتاج ان يجاوز الكتاب

المقدس لكي يعرف ان سليمان لم يتجاوز بالنسبة للملك التاجر حيرام منزلة المعاون له على تحقيق خططه ومشروعاته الواسعة النطاق ، فأما مملكته فهي رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيا . وترجع أهميتها في معظم أمرها الى ضعف مصر الموقوت ، ذلك الضعف الذي أثار طموح الفينيقيين وألزمهم باسترضاء القابض على مفتاح طريق آخر للتجارة الى الشرق . كان سليمان في عين شعبه ملكاً مبذراً جائراً ، وقد أخذت مملكته تتداعى قبل موته تداعياً ظاهراً وتتجزأ بدداً . وينتهي بانتهاء حكم سليمان مجد العبرانيين القصير الأمد » .

وينتقل ويلز بعد ذلك الى ذكر خضوع العبرانيين لآشور ، وكيف ساق نبوخذنصّر أغلبية شعبهم أسرى الى بابل ، بينما فر الباقون الى مصر هرباً من انتقام كالديا ، وينقل عن الكتاب المقدس قوله : « وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة ، وخزائن بيت الرب ، وخزائن الملك ورؤسائه أتي بها جميعاً الى بابل . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور اورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار ، وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة ، وسبي الذين بقوا من السيف الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً الى أن ملكت مملكة فارس » (سفر الايام الثاني ، إصحاح ٣٦ : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) .

اليهود والحقيقة الناقصة

وقال ارنولد توينبي في الصفحة ٥٩ من الجزء الثاني من كتابه « مختصر دراسة للتاريخ » :

« أقبح أمثلة عبادات الذات الفانية صيتاً ، يتمثل في خطيئة اليهود التي تتبدى في العهد الجديد . فان شعب مملكتي اسرائيل واليهودية قد رفع نفسه

مكاناً سامياً ابان فترة من تاريخه الذي بدأ في طفولة الحضارة السورية ، وبلغ الأوج في عصر الانبياء ، وأدرك موضع الرأس والمنكبين فوق الشعوب السورية المحيطة به ، بفضل اعتناقه فكرة وحدانية الدين .

سمح هذا الشعب الذي كان مدركاً لكنزه الروحي وفخوراً به بحق ، سمح لنفسه بأن تفتنه هذه المرحلة الفذة — وان كانت انتقالية — في ارتقائه الروحاني . وحقاً قد أوتي فراسة روحانية لا تبارى . لكن اليهود بعد ان تنبأوا بالحقيقة المطلقة الخالدة، تركوا لأنفسهم العنان لتستهويهم حقيقة ناقصة : نسبية وموقوتة . ومدار تلك الحقيقة الناقصة اعتبارهم السمو الروحي الذي بلغوه بالعمل والكد ، امتيازاً خلعه الرب عليهم وحدهم ، بموجب عهد أبدي يجعل منهم شعب الله المختار .

وهكذا أضلتهم الحقيقة الناقصة ، فأردتهم في خطأ مميت .

وان احتضان اليهود صفة شعب الله المختار ، قد انحرفت بهم الى العقم الفكري ، وقادتهم الى نبذ كنز أعظم قدراً هيأه الله لهم بمقدم عيسى الناصري » .

وقال ارنولد توينبي في الصفحة ٣٢٦ من الجزء الثالث من كتابه الآنف الذكر :

« من بين سخريات التاريخ الكئيبة ، لا يُلقي أي منها ضياءاً نافذاً على الطبيعة البشرية ، مثلما تلقيه تلك الحقيقة السافرة ، وهي أنه غداة أفظع الوان الاضطهاد المتعددة التي حلت بالشعب اليهودي في تاريخه ، نجد اليهود أصحاب النموذج القومي الجديد — وهو الصهيونية — يقيمون على أنفسهم الحجة بأن الدرس الذي تعلمه الصهاينة من الفظائع التي قام بها النازي ضد اليهود، لم يدفعهم الى تنكب ارتكاب نفس الجريمة التي كانوا هم ضحاياها،

بل راحوا يضطهدون شعباً أضعف منهم ، وهم الفلسطينيون العرب ، الذين كانت كل جريمتهم ان فلسطين كانت وطن أجدادهم . واذا كان اليهود الاسرائيليون لم يقتفوا آثار النازيين الى درجة ابادة العرب في معسكرات الاعتقال وحجرات الغاز ، فانهم استصفوا غالبيتهم ، بطردهم من الأراضي التي شغلوها وزرعوها أجيالاً هم وآباؤهم من قبل ، والاستيلاء على المتاع الذي عجزوا عن حمله أثناء فرارهم . ومن ثم أصبح العرب في حالة العدم ، وعدوا قوماً لاجئين !! »

عندما احتل المسلمون القدس كانت تدعى ايلياء

لقد رأينا كيف أجمعت المراجع التاريخية الكبرى على التأكيد بأن الامبراطور فسباسيان وابنه تيطس قد دمرا هيكل سليمان سنة ٧٠ ميلادية وأحرقاه ونقلا جميع محتوياته الى روما ، وطردا اليهود من اورشليم وفلسطين ، وان الامبراطور هادريان قد أجهز في سنة ١٣٥ ميلادية على البقية الباقية من اليهود في فلسطين وحرم عليهم الاقامة فيها ، وانشأ على أنقاض اورشليم مستعمرة رومانية باسم « آيليا كابيتولينا » .

ونضيف هنا ان اورشليم لم يعد لها وجود في التاريخ منذ ذلك الحين ، بعد ان حلت محلها تلك المدينة الجديدة ذات الأسم الجديد: ايليا كابيتوليا، وهو مشتق من كلمة « ايليوس » اليونانية ومعناها الشمس و « كابيتول » ومعناها المركز أو المقر . وقد بنى السكان برجاً مكان الهيكل القديم ، ووضعوا فوقه لوحة كتبوا عليها اسم « ايليا » ، وصحب المدينة هذا الاسم حتى تسلمها الخليفة عمر بن الخطاب من البطريرك صفرونيوس سنة ٦٣٨ م .

وكان يسكن ايليا وفلسطين في تلك المرحلة من التاريخ (٧٠ ـــ ٦٣٨ م)

اليونانيون (الروم) والعرب ، وخلال هذه الفترة بنى هادريان في ايلياء « كنيسة القيامة » سنة ١٣٨ م ، وشيد فيها قسطنطين « كنيسة القبر » سنة ٣٣٥ م ، وأتم جوستنيان عمله في القرن السادس . وفي سنة ٦١٤ م أحرق الفرس المدينة ، ثم أعاد السكان بناءها حتى تسلمها المسلمون من الدولة البيزنطية بعد انقضاء خمسمائة سنة على نزوح اليهود منها وتحول اسمها من اورشليم الى ايلياء . وكانت الامبراطورية الرومانية قد انشطرت سنة ٣٦٤ م الى مملكتين : غربية عاصمتها روما ، وشرقية عاصمتها القسطنطينية وعرفت هذه باسم المملكة البيزنطية نسبة الى بيزانتيوم اسم العاصمة القديم، وتبعت مصر وفلسطين وسورية وآسيا الصغرى دولة بيزنطية بعد ان كانت خاضعة لروما .

وقد دخل المسلمون فلسطين وحاصروا مدينة ايلياء سنة ٦٣٨ م ١٥ هـ ، حتى اضطرت المدينة الى الاستسلام ، ولكن رئيسها الروحي البطريرك صفرونيوس اشترط حضور الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه ليتسلمها منه .

وجاء الخليفة استجابة لهذا الشرط ، وتسلم المدينة ، وكتب للبطريرك عهداً معروفاً ومشهوراً في التاريخ ، اطلقت بموجبه الحرية الكاملة للسكان في مزاولة دياناتهم ، والتصرف في أموالهم، والأمان على أنفسهم وكنائسهم. وأمر عمر بن الخطاب بتنظيم المدينة ، ادارياً وقضائياً ، ثم دون الدواوين ، وقسم البلاد الى مناطق لكل منها امير ، ورتب البريد لكي يؤمن الاتصال فيما بينها ، وأقام نظام الحسبة الذي يتلخص في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وراقب الاسواق والمكاييل ، ومنع الغش في المعاملات ، وأجرى كثيراً من الاصلاحات الأخرى ، كما تعهد للسكان المسيحيين بألا يشاركهم في المدينة أحد من اليهود وذلك بناء لطلب البطريرك

صفرونيوس .

ويعرف عهد عمر بن الخطاب الى أهل ايلياء بالعهدة العمرية، وهذا نصه كما أورده الطبري :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان، أعطاهم اماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقمها وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تُسكن كنائسهم ، ولا تُهدم ، ولا يُنقص منها ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن . وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج فانه آمن على نفسه وعلى ماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى حصيد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

كُتب وحُضر سنة خمس عشرة » .

وبعد اعطاء هذا العهد ألقى الخليفة خطبته المشهورة في جموع المسلمين .

وقد أطلق العرب على « ايلياء » اسم « القدس » و« بيت المقدس » ، وهي تعتبر من أقدس بقاع الأرض عند المسلمين ، فاليها أُسري بالرسول العربي من المسجد الحرام (مكة) الى المسجد الأقصى (القدس) الذي بورك حوله ، ثم عرج منه الى السموات العلى ، وفي ليلة الاسراء فرضت على النبي الصلوات الخمس اول أركان الاسلام .

وشيد الخليفة عمر مسجداً بالقرب من الصخرة المقدسة التي صعد منها النبي ليلة الاسراء، ما لبث ان تطور في عهد الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان الى آية من آيات فن البناء .

حائط المبكى ذلك الأثر المزعوم الباقي من الهيكل

وانتقالاً من التعميم الى التخصيص ، لقد كان المنطق والواقع أقوى من كل ادعاءات الصهاينة ليس حول ما يسمى بهيكل سليمان فقط ، وانما بحائط البراق الذي يسميه اليهود « حائط المبكى » بحجة انه الأثر الوحيد الباقي من هيكل سليمان . ويعتقد علماء الآثار ان الحجارة غير المنحوتة التي بني بها هذا الحائط ، تدل على أنه من بقايا العصر الروماني في الزمن الذي أعاد فيه الامبراطور هادريانوس (١١٧ – ١٣٨م) بناء مدينة القدس كمستعمرة رومانية ، أي بعد وفاة الملك سليمان بما يقارب الف عام ، أما الطبقات العليا من حجارة الحائط فهي أحدث عهداً ويرجح اولئك العلماء انها ترجع الى سنة ١٥٠٠ ميلادية .

وقد وصف أحد الباحثين في العدد السنوي (١٩٧٤) من جريدة « الأنوار » وضع الحائط بقوله :

« يشكل حائط المبكى جزءاً أساسياً من الحائط الغربي للحرم الشريف .

والحرم الشريف مرتفع فسيح قائم الزوايا يمتد على مساحة تبلغ مئات الأمتار طولاً وعرضاً ، والمسجد الأقصى هو أحد المسجدين اللذين شيدا هناك ، ويلاصق الحائط الجنوبي للحرم ويمتد من الجهة الجنوبية حتى حائط المبكى . أما المسجد الآخر وهو المعروف بقبة الصخرة، أو مسجدعمر ، فيقع في وسط الحرم .

« والحائط الغربي للحرم ، هو بناء يزيد طوله على المائة متر ، ويبلغ علوه حوالي عشرين متراً ... أما ذلك القسم من الحائط الذي يقوم حوله الخلاف بين العرب من المسلمين وبين اليهود ، فهو عبارة عن ثلاثين متراً من الحائط الخارجي للحرم ، ويمتد أمامه رصيف لا يمكن الوصول اليه من الطرف الشمالي الا بواسطة زقاق ضيق يبتدىء من شارع الملك داود (باب السلسلة) ، ويفصل حائط المبكى عن بعض البيوت الخصوصية بخط مستقيم ، كما يفصله عن موقع مسجد « البراق » في الجهة الجنوبية . وفي سنة ١٩٢٩ فتح باب عند الطرف الجنوبي من الحائط الأخير يؤدي الى تلك البيوت والمساجد ، ويقوم عند الطرف الشمالي من الرصيف حائط ثالث فيه باب يفصل هذه الجهة عن الفناء الكائن أمام مقر المفتي الأكبر .

« ويبلغ عرض الرصيف حوالي أربعة أمتار ، ويحد جهته الشمالية الحائط الغربي وبيوت محلة المغاربة . ويوجد في هذه الجهة بابان يؤديان الى بيوت المغاربة .

« وعلى مسافة قصيرة من الرصيف الى الجنوب منه داخل الحائط ، غرفة صغيرة هي أقرب الى التجويف ، تقول التقاليد الاسلامية أن النبي محمد (صلعم) ربط براقه فيه ليلة اسرائه من المسجد الحرام ، ومن يومها أصبح الحائط معروفاً للمسلمين باسم البراق » .

وقد بدأت محاولة اغتصاب فلسطين من القدس ، ومن حائط المبكى بالذات ، اذ شرع اليهود بعد وعد بلفور ينقلون الستائر والكراسي والمصابيح الى الحائط في محاولة لتغيير وضعه التاريخي القائم منذ سنة ٧٠ بعد الميلاد ، الا ان المواطنين العرب تنبهوا لهذه المحاولات فأخذوا يقاومونها بالاحتجاج تارة وبالقوة تارة أخرى . وكانت السلطات البريطانية ، كلما اشتد الضغط العربي ، تأمر اليهود برفع ما أضافوه الى الحائط ، لكنهم كانوا يعاودون تصرفهم متى خفت وطأة هذا الضغط ، مما أشعل عام ١٩٢٩ الثورة التي تدعى بثورة البراق ، الأمر الذي اضطر بريطانيا الى أن تطلب من عصبة الأمم تشكيل لجنة للتحقيق في هذا الموضوع .

وتألفت هذه اللجنة بقرار من عصبة الأمم في ١٥ أيار – مايو ١٩٣٠ ، وضمت اليل لوفغرن وزير الشؤون الخارجية في حكومة السويد سابقاً ، وتشارلس بارد رئيس محكمة العدل في جنيف، وس . فان كمبن النائب في البرلمان الهولندي . وعقدت اللجنة في القدس ٢٣ جلسة استمعت خلالها الى ٥٢ شاهداً استدعاهم وكلاء المسلمين ووكلاء اليهود ، وبعد أن أبرز وكلاء المسلمين ٢٦ وثيقة تثبت ملكيتهم لحائط المبكى ، وأبرز وكلاء اليهود ٣٥ وثيقة بالمعنى نفسه ، اتخذت اللجنة في كانون الاول – ديسمبر ١٩٣٠ قراراً متعدد البنود اعترفت فيه بحق المسلمين بالحائط وجاء في مطلعه :

« للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه ، لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي

من أملاك الوقف .

« وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط ، وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط ، لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الاسلامي لجهات البر والخير » .

البعد الديني والتاريخي والانساني لعروبة القدس

وهكذا تتحطم ذرائع الصهيونية حتى بالحائط الذي تحتج بوجوده لاقامة دولة مزيفة . ومتى كان جدار لا يزيد طوله على ٣٠ متراً يؤلف دعامة قانونية للمطالبة بدولة تطمع بأن تتحول الى امبراطورية .

لقد أقصى الرومان اليهودية عن فلسطين منذ الفي عام فتوزع اليهود في أنحاء الارض وباتوا يؤلفون جزءاً من الدول التي استوطنوا فيها وعايشوا أهلها طوال قرون . وحتى المسيحية هجرت فلسطين وأنشأت عواصمها في انطاكية والاسكندرية وبيزنطية وروما وليس في القدس . وظل الاسلام بوجهه العربي المتسامح الأصيل ، يؤلف تيار الحياة النابضة المستمرة في القدس وفلسطين عبر الأجيال المتتابعة والعصور المتعاقبة ، ويعيش في ظله السابغ المسيحيون واليهود جميعاً ، لأنه الديانة الوحيدة التي لا ترفض بقية الأديان ، ولأنه الشريعة التي لا تقوم مبادئها على أساس الجنس والعرق ، ويكفي دليلاً على ذلك الاخاء الوثيق والتسامح الرائع اللذان أرسى الاسلام قواعدهما بين مختلف المواطنين ، ان الطوائف المسيحية رفضت أن تكون مفاتيح كنيسة القيامة في أيدي طائفة معينة منها وعهدت بها الى أيدي المسلمين .

ذلك هر البعد الديني والتاريخي والانساني لعروبة القدس ، وقد جاءت قرارات منظمة الأمم المتحدة باستنكارها تهويد القدس ، ورفضها ان تكون القدس عاصمة اسرائيل ، شهادة دولية على أن القدس واحدة ، فليس هناك من قدس عربية وأخرى غير عربية ، ولن يزيل الحق الطبيعي والتاريخي مغتصبو الأرض ومزورو التاريخ .

دَوْرُ المَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ في المَعْرَكَة

« لقــد اشتركنا في المجهــود الحربي ، وساهمنا في العمل العسكري بارسال جنودنا الى ساحة القتال على الجبهتين المصرية والسورية، واشتركنا بتعمير الدول المتضررة من الحرب ، كما اشتركنا بتمويل هذه الدول بالنفط أثناء الازمة ، وكانت مشاركتنا بقيادة جلالة الملك فيصل تثبيتاً لدعائم التضامن العربي ، وتوطيداً لوحدة الصف العربي » .

نواف بن عبد العزيز

الجهد السعودي لاقامة الجبهة العربية القوية المتماسكة

قال الله في محكم تنزيله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .. » تلك شرعة الله في عباده المؤمنين ، وكذا عرفت المملكة العربية السعودية أن تستلهم روح الاسلام في جهاد أعدائه ، متبنية المبدأ القائل : « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » .

واستطاعت السياسة الحكيمة للمملكة السعودية، أن تحقق النجاح الملحوظ في نطاق ايجاد الجبهة العربية القوية المتماسكة ، تصدياً للهجمة الصهيونية الغادرة ، وانتقالاً من خلال وحدة العمل والهدف ، الى مرحلة الهجوم بالتنسيق مع دول المجابهة .

وخلال عملها الجاهد لتوحيد الصف العربي ، ونضالها الدائب لتأليف الجبهة العربية الموحدة ، ودعمها السخي لدول المواجهة على صعيد التسلح العسكري والتنمية الاقتصادية ، لم تتوقف عن تخطيطها لانشاء قوة عسكرية سعودية ضاربة ، بهدف الدفاع عن حياض المملكة من جهة ، وللمشاركة في تحرير فلسطين من جهة ثانية .

واذا ما عدنا الى أقوال الملك فيصل ، تبينت لنا بجلاء تلك الاهداف النبيلة التي ترمي اليها المملكة من وراء تكوين جيش منظم على مستوى العصر ، لحفظ السلام والذود عن الحق .. قال جلالته :

« ان غايتنا ايجاد القوى الرادعة في المملكة ، وجعلها في الطليعة بين دول العالم قوة واستعداداً ، للمساهمة في حفظ السلام ، وتثبيت دعائم الحق ، والاعداد لنسف الكيان الاسرائيلي الغاصب في أرض العروبة ، والقضاء على الاستعمار في كل جزء من أجزاء الوطن العربي والاسلامي » .

شرعة الجيش العربي السعودي

فالمملكة العربية السعودية دولة ذات رسالة ، ورسالتها تشمل العالم العربي كله ، وتمتد لتتصل بأجزاء العالم الاسلامي في مختلف أنحاء المعمورة ، والجيش السعودي حامي هذه الرسالة والعامل على تحقيقها ، دفاعاً عن الاستقلال في كل بقعة عربية ، وذوداً عن الحق في كل دولة اسلامية ، ودعماً للسلام والنهضة والتطور في هذين العالمين المترامين .

ومن هنا كان العبء الذي يلقيه التاريخ على عاتق المملكة عبئاً كبيراً ، وكانت المهمة التي انتدبتها الأقدار لتحقيقها مهمة جسيمة .. ومن هنا أيضاً كان العمل الجاد الذي يبذله المسؤولون السعوديون بقيادة العاهـــل الكبير ، لتقوية الجيش السعودي باستمرار ، وتوطيده بالعناصر البشرية والمادية ، وتعزيزه بالخبرة والمعرفة ، حتى يبلغ المستوى الذي يتيح له النهوض بذلك العبء ويؤهله للاضطلاع بهذه المهمة .

ومن الانصاف القول ان المنظور العربي السعودي لبناء ذلك الجيش العصري المزود بأحدث المعدات والمدرب على كافة الاحتمالات ، قد ارتفع حقاً الى مستوى الواجب القرمي والجهاد الاسلامي ، والنضال ضد العدوان الاستعماري بسائر أشكاله ، وفي مقدمتها العدوان الصهيوني الذي يستهدف سائر أقطار العروبة .

وقد قال الملك فيصل في خطاب القاه في أفراد الجيش العربي السعودي عام ١٩٦٦ :

« إننا حين نقوي الجيش ونرفع من مستواه ، انما نؤدي واجبنا حيال ديننا وأمتنا ووطننا .. وليقل عنكم من يقول .. فلا تلتفتوا الى ما قيل ويقال ، لأن التحلي بالأخلاق الكريمة من صفاتكم المميزة ، ومن خلال عقيدتكم قد نذرتم أنفسكم للدفاع عن الوطن والأمة ، والاشتراك ـ عندما يحين الوقت ـ في الجهاد لتدعيم القضايا العربية ، وفي مقدمتها قضيتنا الكبرى : قضية اخواننا شعب فلسطين المشرد الذي يعيش اليوم في المخيمات بينما يعيش الصهاينة في مساكنه وبيوته بعد ان استولوا على أمواله ومقدراته»

وكانت المملكة تنتظر اللحظة المناسبة لتدفع بقواتها المسلحة في خضم المعركة الفاصلة اذا اقتضت الستراتيجية العربية ان تكون المعركة فاصلة ، أو في معترك الحرب الطويلة الأمد اذا اقتضت تلك الستراتيجية أن تكون حرباً طويلة الأمد ، عازمة عزماً أكيداً على أن تكون تلك القوات العربية السعودية في المقدمة .

وقد أوضح جلالة الملك هذه المهمة لأفراد جيشه بقوله :

« وستكونون في المقدمة ولن تكونوا في المؤخرة .. وان سابق مواقفكم في الدفاع عن الوطن يثبت أن ما فعلتموه بالأمس ستفعلونه اليوم » .

شعب يواجه الشهادة بالرضى والفرحة

وكانت معركة العاشر من رمضان ، معركة الكرامة العربية التي أدت الى تبديل الصورة لواقع القوى المتصارعة العربية الاسرائيلية ، فأنهت بذلك اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ، ومسحت وصمة العار عن

جبين الأمة العربية إثر هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ ، وأعادت الثقة الى الشعوب العربية بقدرتها على النضال والانتصار ، وتحقيق المكاسب الفعلية على العدو الصهيوني ، والضغط على القوى المؤيدة له .

وقد ساهمت المملكة العربية السعودية ، المساهمة المشرفة في هذه المعركة ، ليس بالدعم الأدبي أو المادي فحسب ، ولا من خلال التخطيط العربي بين مصر وسورية والأردن والسعودية فقط ، أو بالمساعي التي بذلها جلالة الملك لتوحيد الصف وجمع الكلمة واقامة الجبهة القوية الواحدة ، وانما بالمشاركة الفعلية في حومة القتال وساحة النزال ، اذ تحركت قواتها الى مرتفعات الجولان السورية المحتلة ووقفت جنباً الى جنب بوحدة السلاح مع القوات السورية والعراقية والمغربية والأردنية ، كما أبلت القوات السعودية البلاء الحسن على جبهة قناة السويس الى جانب القوات المصرية ، بالاضافة الى وقوف القوات السعودية في الجبهة الاردنية على أهبة الاستعداد في انتظار اللحظة التي تخوض فيها عباب النار مواجهة للعدو .

وهكذا عمّدت مشاركة العربية السعودية مبدأ « التضامن العربي » بالعرق والجهد والدم ، والتضحية بكل غال ونفيس ، لا تدخر في سبيله مالاً أو تضن بروح .

ولم تعرف دولة من دول العالم ، أو شعب من شعوبه ، مواجهة الموت بمثل الشجاعة والاقدام والتحدي التي يواجهه بها الشعب السعودي والدولة السعودية .. واذا كانت المظاهرات قد ملأت شوارع تل ابيب احتجاجاً واستنكاراً ونقمة على حكومة غولدا مائير ، لكثرة القتلى والجرحى الاسرئيليين الذين سقطوا في ساحات المعركة ،فان مظاهرات الفرح والابتهاج والرضى هي التي ملأت شوارع الرياض ومكة وجدة والمدينة حين حملت

الأنباء أسماء القتلى والجرحى من المقاتلين السعوديين ، اذ هرع آباء الشهداء واخوانهم لحمد الله وشكره لإنه خص أبناءهم واخوتهم بالشهادة ، وأقبل أهلرهم وجيرانهم يهنئونهم على أن الله قد كرمهم وأقر عيونهم برؤية أحبائهم يسقطون في ساحة الشرف والكرامة وهم يقومون بالواجب المقدس ويدافعون عن أنبل قضية. ثم عمت الخيبة وساد الوجوم ، حين أذيع نبأ توقف القتال والكف عن اطلاق النار .

كل طاقات المملكة في خدمة المعركة

وقد جاء في الحديث الذي أجراه تلفزيون الرياض مع سمو الامير نواف بن عبد العزيز مستشار جلالة الملك ، وهو يعرض واقع العمل العسكري للمملكة العربية السعودية لدعم دول المواجهة ودخول القوات السعودية في غمرة معركة الكرامة العربية ، قوله :

« المعروف ان جلالة الملك فيصل المعظم قد أمر منذ بداية الحرب بأن توضع كل طاقات المملكة وجميع امكانياتها في خدمة المعركة .

« وانتم تعلمون كما يعلم المواطن السعودي والعربي والعالمي ، ان جلالة الملك فيصل قد عودنا وعوّد جميع الذين يتصلون به ويعملون معه ، أنه حريص كل الحرص على العمل بصمت ، وان المهم بالنسبة اليه هو النتيجة الايجابية التي يؤدي اليها ذلك العمل وليس الضجة الدعائية التي يحدثها . وهذا هو في الواقع النهج الوطني الصحيح .

« ولهذا أرجو ألا تنتظروا مني أن أقول كل شيء عما عملناه ، لأن الصمت من صميم سياستنا ونهج حياتنا . نحن نعمل للمصلحة العامة ، ونعمل دائماً لهذه المصلحة ، ولا يهمنا أن نتحدث عن عملنا ، وانما

عن نتائجه ، ويهمنا أن تأتي هذه النتائج متفقة مع المصلحة العامة .

« واني لأعتذر من المسؤولين عندنا اذا كنت قد قلت أشياء ما كانوا يريدون أن تعلن ، ولكني اعتقد بان ثمة أشياء لا بد من ان تقال ، ولو اني خالفت في ذلك السياسة التي ننتهجها بعض الشيء . فنحن كما تعرف قد اشتركنا في المجهود الحربي ، وساهمنا في العمل العسكري بارسال جنودنا الى ساحة القتال ، على الجبهتين المصرية والسورية ، واشتركنا بتعمير الدول المتضررة من الحرب ، كما اشتركنا بتموين هذه الدول بالنفط أثناء الأزمة . وكانت مشاركتنا بقيادة جلالة الملك فيصل ، تثبيتاً لدعائم التضامن العربي وتوطيداً لوحدة الصف العربي .

« وقد قلنا لكل مسؤول وفي كل مناسبة ، سواء أكان ذلك المسؤول عربياً أم أجنبياً : ان المملكة العربية السعودية تقف مع العرب في المعركة لأنها معركتنا نحن ،وتضع في سبيل هذه المعركة كل قواها وجميع امكانياتها.. ولقد فعلنا ذلك حقاً » .

وليس بغريب أن يكون هذا وجه المملكة التي جعلت في رأس أهدافها ، ابراز القوة العربية فعالة حاسمة ، ولذلك لم يقف اسهامها في معركة الكرامة العربية عند حدود حرب رمضان الكبرى ، وانما أعقبته بالمساعدات الضخمة لاعادة بناء القوة العسكرية العربية ، ولما تهدأ المدافع في مرابضها ، وذلك على جميع الجبهات في كل من مصر وسورية والأردن .

وعلى درب النضال هذا خاضت العربية السعودية وتخوض ، مع شقيقات لها كريمات ، الحرب البترولية التي تعد من أكبر الملاحم في تاريخنا المعاصر .

النفط في معركة الكرامة العربية

« لقد حاولنا أن نوضح الحقائق للولايات المتحدة الاميركية ، وقدمنا لهم الدليل على عدوان اسرائيل المتواصل كل يوم على البلاد العربية ، وناشدنا المسؤولين في الحكومة الاميركية مرات عديدة ، ان يوقفوا دعمهم ومساندتهم لاسرائيل ، ولكننا مع شديد الأسف ، لم نجد ما يدل على استجابتهم لهذه المطالب ، او تفهمهم للواقع المرير الذي تعيشه الأمة العربية اليوم ، فقال جلالة الملك كلمته في صدق عرف به ، وأعلن قراره المعروف في ثقة وعزم » .

سلطان بن عبد العزيز

حرب رمضان وأبعادها الدولية

من السمات البارزة في حرب العاشر من رمضان ، انها لم تتوقف عند حدود الشرق الأوسط ، وانما تجاوزتها كثيراً لتغدو قضية دولية ذات أبعاد عالمية تصيب كل قطر من أقطار المعمورة ، وذلك لما ترتب على هذه الحرب التحريرية وما تمخض عنها ، وبخاصة بعد ان صمتت المدافع ، وانتقلت المعركة الى ساحة الديبلوماسية العالمية ، وتأثر الدول كبيرها وصغيرها على حد سواء ، في مواقفها السياسية من ردود الفعل العربية .

والذي لم يكن في الحسبان — وفي أوساط دول العمالقة على التخصيص — نجوم العملاق العربي الذي لم يكن في تصور تلك الأوساط سوى بيدق صغير على رقعة الشطرنج العالمية، واذا به لا يكتفي بتحطيم أسطورة التفوق الاسرائيلي من خلال وحدة كلمة العرب ، وانما يمتشق في معركته الجديدة أمضى سلاح عرفه العصر ، فتنقلب الصفحة ويرتد العالم الصناعي المتطور الى دوامة الذعر والفوضى والتخبط ، وتنجلي الصررة عن مؤشر ينطق برجحان الكفة العربية في ميزان الحياة الدولية .

ولسنا نأتي بجديد اذا قلنا ان النفط اليوم عصب التقدم الصناعي ، والاساس الذي يرتكز عليه استمرار التقدم الحضاري، وهو من الأهمية بحيث يأتي في المقام الأول في كافة المجالات الاستراتيجية والحيوية لسائر

الدول، لأنه دعامة الثورة الصناعية ، والطاقة التي أثبتت قدرتها وفعاليتها في كل مجال .

والمملكة العربية السعودية ، شأنها في كل ميدان خاضت معاركه وأوغلت في أعماقه ، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، قد رمت بثقلها الكبير في المعركة الجديدة ، اذ تصدت لقيادة وتوجيه الحرب النفطية في سبيل الأمة العربية ، واعطاء العالم العربي ثقله النوعي الجديد على صعيد العلاقات الدولية ، وترسيخ أسس التحول التاريخي الكبير في واقع البناء الاقتصادي لشعرب الدول العربية التي تحارب في سبيل التحرير كما تحارب للقضاء على التخلف وبناء قاعدة اقتصادية متطورة لخلق مجتمع حضاري جديد .

كان سلاح النفط أحد العناصر الاساسية في الاستراتيجية العربية

وبعد ان كان العرب والعروبة في خانة الأصفار في توهم الشعوبية الجديدة التي هي ترجمة عصرية لقول ذلك الشعوبي القديم : « ليس الأعاريب عند الله من أحد » ... اذا باليد العربية هي الأقدر ، والوجه العربي هو الأشرق ، والحساب العربي هو الأعسر ، عندما جلجل ذلك الصوت بالعبارة العربية الأصيلة : « لا نفط لكل الدول التي ناصبت العرب العداء في حربهم التحريرية الأخيرة ، أو وقفت موقف الداعم المؤيد للباطل الصهيوني ! » وكانت عملية الفرز العادلة من تقييم المواقف بين دول صديقة ، ومحايدة ، وعدوة .

وجدير بالذكر أن حرب العاشر من رمضان قد بدلت الكثير من مواقف الدول الغربية ، وبخاصة في مجال استراتيجيتها ومواقعها من أزمة الشرق الأوسط ، التي كانت ترتكز بجملتها على مجموعة من المغالطات والخطأ في

التقدير ، وفي رأسها عدم الثقة بأن العالم العربي سيتمكن من التحرك العسكري ، وعلى تحرير ارادته من شتى القيود والمخاوف ، وايمان تلك الدول بالتفوق الاسرائيلي من جهة ، ويقينها بأن العرب سيبقون ركاماً بشرياً لا جامع يجمعه او رابط يشد بعضه الى بعض .. فكيف بوقوف الدول العربية المنتجة للنفط في جبهة متراصة ، تتحرك تحركاً جماعياً وفق عمل منسق ، وفي اطار خطة واحدة ، لاستخدام النفط العربي ؟!

ولهذا كله غفل عالم الغرب أو تغافل ، عن الانذارات العربية المتعددة ، المبطنة والصريحة ، التي وجهها اليه قادة العرب ، قبل أن تتكلم مدافعهم ، وعلى رأسهم جلالة الملك فيصل قائد سلاح النفط العربي بلا منازع .

ومن هنا كان من الأهمية بمكان التركيز على هذه النقطة ، وهي ان استعمال العرب سلاح النفط لم يكن البتة كما تصوره الغرب ، رد فعل سلبي لتوقف المعركة العسكرية ، لأن هذه المعركة أصلاً كانت وليدة استراتيجية عربية شاملة ، كان سلاح النفط أحد عناصرها الاساسية ، عبر التنسيق التام بين مصر والمملكة السعودية ، ذلك التنسيق الذي ترجمه الرئيس السادات في خطابه بتاريخ ١٦ تشرين الأول — اكتوبر ١٩٧٣ ، والذي قال فيه محذراً كل من يقف موقف التأييد للباطل الاسرائيلي : « ان العرب قادرون على المنح والمنع ، وان على العالم أجمع أن يدرك هذا » .

واذن ، فقد جاءت حرب العاشر من رمضان ، وما تلاها من موقف عربي موحد ، مصداقاً لقول الرئيس السادات الذي كان رصيده ذلك التأكيد القاطع الذي تلقاه من العاهل السعودي باستخدام سلاح النفط دعماً للحق العربي .

وتزداد الصورة جلاء ، اذا ما تملينا المواقف السياسية للمملكة السعودية قبيل استخدامها سلاح النفط ، عبر سياسة التنبيه فالتحذير فالإنذار ، قبل أن تجاهر العالم بكلمتها الحاسمة بقطع النفط ، وبخاصة عن الولايات المتحدة ومن دار في فلكها ، ابان معركة التحرير الأخيرة .

ويجدر بنا هنا التوقف عند كلمة الأمير نواف بن عبد العزيز مستشار جلالة الملك ، حول موضوع النفط وما أحاط به من ملابسات ، وذلك في الحديث الذي ادلى به إلى تلفزيون الرياض .. فقد قال سموه :

« أود أن أنوّه في هذه المناسبة بصدد استعمال البترول كسلاح في المعركة ، بأننا كنا قد حذرنا منذ زمن ، وكنا نريد ألا تصل الأمور الى ما وصلت اليه الآن . كنا أردنا أن ينتبه العالم الى المشكلة العربية ، وان يشعر هذا العالم بأن ثمة قضية ، وان هذه القضية يجب أن تحل لمصلحة الحق .. ولكننا وجدنا أخيراً انه لا بد من استعمال البترول كسلاح في هذه المعركة . وكانت أهم نتيجة توصلنا اليها ووصل اليها الوضع العالمي من جراء استعمال سلاح البترول ، ان كل عائلة وكل فرد في العالم الغربي وغير العالم الغربي ، بات يشعر بأن هناك قضية في الشرق الأوسط ، وان هناك شعباً مطروداً ومحروماً يجب أن تحل قضيته .. وكل سائق سيارة يقود سيارته ، ويشعر بأن البترول ربما ينفد وتقف سيارته في الطريق ، أخذ يشعر بأنه يوجد شعب يجب أن تحل قضيته .. كل عائلة تشعر بالبرد أخذت تشعر بأن هناك اناساً ، ان هناك لاجئين ربما لم تدخل التدفئة الى بيوتهم منذ عشرات السنين ، لأنهم طردوا من ديارهم .. كل فرد شعر الآن بهذا ، وشعر بأن قضية الشرق الأوسط

يجب ان تحل .. بل شعر بمسؤوليته في حلها .. شعر بأن من واجبه أن يدفع المسؤولين في بلاده لاتخاذ مواقف ايجابية من هذه القضية » .

وهكذا يبدو سلاح النفط على حقيقته ، وانه ليس سلاحاً موجهاً ضد صدور الشعوب ، وانما ضد الحكومات المعنية ، وبتعبير آخر ضد سياسة هذه الحكومات .

وحول هذه النقطة بالذات صرح سمو الأمير سعود الفيصل وكيل وزارة البترول والثروة المعدنية لصحيفة « الأنوار » بقوله :

« ان قرار قطع النفط وتخفيض الانتاج كان وارداً قبل بدء الحرب ، وان العرب لم يقطعوا النفط عن الشعوب الاميركية والأوروبية ، بل قطعوه عن الحكومات التي وضعت قرارات مجلس الأمن ولم تشارك في تنفيذ هذه القرارات .. نحن نريد تنفيذ قرارات مجلس الأمن ، والحكومات التي لن تعمل على تنفيذ هذه القرارات تتحمل مسؤوليتها أمام شعوبها .

« ان العرب قد صبروا سنوات ، وحذروا العالم مراراً وتكراراً ، الى ان اضطروا لاستعمال سلاح البترول من أجل تحريك الضمير العالمي ، الاميركي والاوروبي ، ليشعر بأن هناك شعباً ما يزال مشرداً منذ ٢٥ سنة يقاسي البؤس والبرد، وليتأكد من أنه لا استقرار على الاطلاق اذا لم تحل قضية فلسطين حلاً عادلاً مشرفاً » .

فيصل ينتقل من التحذير إلى الانذار

ومنذ ١٩ تموز — يوليو ١٩٧٣ سمع الاستاذ خليل تقي الدين تصميم جلالته على خوض معركة النفط ، ووصف ذلك بقوله في جريدة « الأنوار » بتاريخ ١٦ — ١٠ — ١٩٧٣ :

« كلما أسعدني الحظ ومثلت في مجلس الملك فيصل تهيبت ، وتملكني شعور قوي هو مزيج من الرهبة والاحترام والغبطة والاعتزاز .

لا أدري كيف قلت له : ان حديث جلالته للصحافة الأميركية عن تمادي اميركا في مساعدة اسرائيل ، وانها اذا استمرت في سياستها هذه فستعيد النظر في سياستك البترولية ، ان هذا الحديث كان له في العالم دوي عظيم .

استوى فيصل في جلسته وقال : أمس أدليت بحديث الى محطة « ن. بي. سي » التلفزيونية الأميركية عن البترول .. لقد انتقلنا من التحذير الى الانذار !

وأضاف الملك وأنا أسمع بأذني وعيني وقلبي وكياني جميعاً كل كلمة من كلماته : ان اسرائيل قد طغت وبغت وتكبرت وتجبرت . انها انتهكت أرضنا ، ودنست مقدساتنا ، وقتلت ، وجنت ، والعالم يتفرج عليها ولا يفعل شيئاً ، وأميركا تساعدها . ان الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالجهاد في سبيله جل جلاله ، ونحن مؤتمنون على الأماكن المقدسة .

وصمت الملك قليلاً ، ثم ارتفع صوته ، لكنه لم يخرج عن هدوئه ووقاره الشهيرين ، وقال : « لقد عيل صبرنا » .. وأنهى كلامه بقوله : « واذا عزمتم فتوكلوا .. » .

واذن فان جلالته كان قد حزم أمره ، وأعد للمعركة عدتها ، فيما كان ماضياً بتصميمه على أن يخوض واخوانه القادة العرب الحرب التي تعيد الكرامة للعالم العربي ، وتحرر الإرادة العربية من جميع العقد والمخاوف والارتهان لهذا المعسكر أو ذاك .

وبورك النفط من سلاح تشهره اليد العربية القوية برجه كل من يعترض سبيل الحق العربي أو يدعم الباطل الصهيوني .. ذلك السلاح الذي حاولت الأوساط المتعاطفة مع اسرائيل ، عبثاً ، ان تبرزه كضرب من ضروب الإبتزاز الإقتصادي ، وخسيء من ادعاء يشوه الواقع العربي الذي أحسن الأمير نواف ابرازه بقوله :

« وفي نفس الوقت أحب أن أقول اننا لا نقصد الضرر بأحد ، ولا نريد الأذية لأحد ، ونحن على أتم الاستعداد في كل وقت لمساعدة العالم على البناء والنمو والازدهار الاقتصادي واستغلال كل الطاقات والثروات . فليست لدينا أية نية أو رغبة في مضايقة العالم ، واذا كنا قد وصلنا الى الوضع الراهن ، فلسنا نحن المسؤولين عنه ، وانما المسؤولون هم اولئك الذين دفعوا الأمور الى وضعها الراهن ، بترك القضية على هذا الشكل طوال هذه المدة » .

وهنا يبرز وجه المملكة السعودية بأجلى معانيه ، بتلك السياسة المرنة مرونة الفولاذ ، والثابتة على الحق أبداً لا تحيد عنه قيد أنملة ، ولكنها تتجاوب ايجابياً مع الدول التي تتحرك في اتجاه الحق العربي ، كما تتحرك سلبياً بتصلب عنيد ضد كل أعداء الأمة العربية .. ويتابع الأمير نواف شرح هذه السياسة بقوله :

« وأود أن أؤكد للمواطنين انه لا بد من ان نسير في خطواتنا بوعي واتزان ، فاذا سار العالم خطوة الى الأمام سرنا نحن أيضاً خطوة الى الأمام ، واذا قام ببادرة ايجابية قابلناها ببادرة ايجابية مماثلة .. مقدمين له الدليل على

أننا صادقون فيما نقول ، وانتنا لا نريد ان نضر أحداً ، وكل ما نبتغيه ان نقرّ الحق ونحقق العدل » .

وتتحرك بعض الأوساط الغربية عبثاً في محاولة منها لتحييد سلاح النفط الاقتصادي وعزله عن المعركة السياسية ، طمساً لحقائق الحياة الدولية التي لاتقيم أي حاجز عـازل بين السياسة والاقتصاد ، على حين تبيح الدول العملاقة لنفسها وضع اقتصادها في خدمة سياستها دون أن تسمح لأحد بانتقادها او الشك بأخلاقيتها .

وعلى الرغم من ارجاف المرجفين واباطيل المبطلين ، من مؤيدي الصهيونية وداعمي باطل اسرائيل ، تتابع العروبة مسيرتها الكفاحية هذه ، شاهرة سلاحها هذا ، وفي مقدمة تلك المسيرة المظفرة المملكة العربية السعودية ، يتوج كل ذلك مسعى الملك المؤمن الذي قال محاوراً رئيس الوزارة اللبنانية الاستاذ تقي الدين الصلح :

« عندما نقول ان استعمال سلاح النفط كان قراراً اقتصادياً ، فاننا بذلك نظلم هذا السلاح . ان مقاطعة سلع تنتجها دولة معينة يمكن اعتباره قراراً اقتصادياً ، أما حظر النفط فكان قراراً سياسياً ، بل أهم القرارات السياسية ، لأنه فعل فعله في كل المجالات . ونحن لو تأملنا قليلاً لوجدنا ان مجتمعات الغرب قد تحركت لأن استعمال سلاح للنفط مسها مباشرة » .

وقال الملك كلمته !

كانت المملكة العربية السعودية السباقة إذن ، قبل حرب رمضان ، الى التهديد باللجوء الى سلاح النفط ، كمعادلة هي المنطق بعينه في ميزان الصراع العربي الاسرائيلي ، والقوى الدائرة في فلك هذا الصراع ، تؤثر فيه سلباً ام ايجاباً ، وقد سبق لجريدة النيويورك تايمس ان كتبت حول الموقف

السعودي في هذا الميدان :

« ان انظار العالم تتجه الى الملك فيصل لمعرفة ماذا سيفعل لتنفيذ تهديداته باستخدام مصادره البترولية والمالية لخدمة القضية العربية . ان الملك قد قرر أن يجعل النفط شطراً من معادلة القوة بين العرب واسرائيل ، وذلك لشعوره بأن واشنطن قد خذلته » .

ويجمع المعلقون السياسيون على القول ان العربية السعودية قد تحركت ديبلوماسياً في هذا الاتجاه ، قبل أن ينفجر برميل البارود ، اذ حاولت ان تنبه الولايات المتحدة الاميركية مرات متعددة الى مغبة تأييدها المطلق لاسرائيل ، وبخاصة في دعم استمرار احتلال الأرض العربية .

وقد جاء في حديث قيم لوزير الدفاع السعودي سمو الامير سلطان بن عبد العزيز فسر فيه المبادرة السعودية ، قوله :

« ان ما أعلنه جلالة الملك فيصل عن موقف المملكة العربية السعودية تجاه الولايات المتحدة الاميركية حول قضية النفط ، صريح في غايته واضح في معناه . فلقد حاولنا كما تعلمون ، بمختلف وسائل المنطق والعقل والعدل ، اقناع الحكومة الاميركية بضرورة اعادة النظر في سياستها الراهنة في دعم العدو الاسرائيلي ، بعد ان تمادى العدو في غيه وعتوه واعتدائه ، وبعد أن تكشفت للعالم أجمع حقائق أهدافه ونواياه في ابادة شعب بأسره ، واصرار هذا العدو على استمرار البقاء مع التمزكر والتوسع في الأجزاء التي اغتصبها في الماضي البعيد والقريب من وطننا العربي الكبير .

« أقول حاولنا كما حاول جميع قادة الأمة الاسلامية والعربية ، أن نوضح الحقائق للولايات المتحدة الاميركية ، وقدمنا لهم الدليل على عدوان اسرائيل المتواصل كل يوم على البلاد العربية ، وناشدنا المسؤولين في

الحكومة الاميركية مرات عديدة ، ان يوقفوا دعمهم ومساندتهم لاسرائيل. ولكننا مع شديد الأسف ، لم نجد ما يدل على استجابتهم لهذه المطالب ، أو تفهمهم للواقع المرير الذي تعيشه الأمة العربية اليوم ، فقال جلالته كلمته في صدق عرف به ، وأعلن قراره المعروف في ثقة وعزم » .

ويزيد سموه وهو يشرح سياسة المملكة في معركة النفط وآفاقها في المجالين العربي والدولي معاً ، وكيف قابل الملك بمرونته الفولاذية المعهودة طلب الولايات المتحدة زيادة انتاج النفط في المرحلة الأولى ، فيقول :

« لم يقل سنوقف الضخ ، لأن هذا يعني توقف العجلة التي تنشر الخير والانماء والرخاء للمملكة ولكل البلاد الصديقة التي أخذ جلالته على عاتقه دعمها وتأمين استمرار قدراتها على الكفاح والصمود في وجه العدو ، وان اقصى ما يتمناه العدو هو ان تحرم البلاد العربية من استغلال طاقاتها وتطوير قواتها .

« كما ان جلالته لم يقل سأحارب أميركا وأقطع علاقاتنا معها ، لأنه — وهو رجل المنطق والواقع — يدرك ان في مثل هذا القول وبما يتضمنه معناه من الغرور والتضليل ، فرصة يتربصها العدو لشل الطاقات ، وتحطيم الامكانات ، وعزل العرب عن مصادر السلاح في الغرب ، كي يقع الوطن العربي بين براثن الشيوعية والصهيونية وفريسة الأطماع .. » .

وكان الموقف — الجواب ، على لسان العاهل الكبير ، ألاّ زيادة في انتاج النفط « ما لم تنصت الولايات المتحدة الى مطالب العرب العادلة ، وتوقف دعمها لاسرائيل ، وتجبرها على الانسحاب من الأرض المحتلة ، واعادة الشعب الفلسطيني إلى وطنه » .

وهكذا فان المملكة العربية السعودية حين لجأت الى سلاح النفط ، قد استخدمت حقها في التعبير عن موقفها ، وكانت بذلك رائدة الدول العربية وقائدة الجبهة النفطية الضاغطة لاستعادة الحق العربي كاملاً غير منقوص عبر المواقف المتدرجة من التحذير الى الانذار واخيراً الى القطع .

وقد جعل ترابط العلاقات الاقتصادية بالواقع السياسي ، من سلاح النفط ، سلاحاً سياسياً فعالاً ، وبخاصة ضد الولايات المتحدة الاميركية التي اعتمدت أبداً سياسة توازن القوى عسكرياً ، ودائماً في مصلحة اسرائيل التي لم تنفك عن مدها بالسلاح المتطور والعتاد الوافر واعتماد قانون ازدواج الجنسية .

وكانت الدول المصدرة للنفط قد تنادت بقيادة الملك فيصل ، اثر اندلاع شرارة الحرب ، الى الاجتماع في الكويت بتاريخ ١٧ تشرين الأول – اكتوبر ١٩٧٣ ، ممثلة بوزراء البترول العرب ، الذين اتخذوا القرار التالي :

« بما ان الهدف المباشر للمعركة التي تدور رحاها حاليا هو تحرير الارض العربية المحتلة في حرب يونيو ١٩٦٧ واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفقا لقرارات الامم المتحدة .

وبما ان امريكا هي المصدر الاول الرئيسي لقوة اسرائيل التي مكنتها من غطرستها واستمرارها في احتلال أراضينا . وبما ان الدول الصناعية الكبرى تسهم بشكل أو بآخر في بقاء الوضع الراهن رغم ان عليها مسؤولية هامة بتنفيذ قرارات الامم المتحدة .

وبما ان الوضع الاقتصادي في كثير من الدول العربية المنتجة للبترول لا

يبرر زيادة انتاجها البترولي . وهي اذ تفعل ذلك انما تقابل حاجة المستهلكين من الدول الصناعية الكبرى التي تلتزم من جانبها بالتعاون معنا لتحرير أراضينا لو رغبت في تعاوننا معها خارج النطاق الذي توجبه علينا مصالحنا الاقتصادية الذاتية .

لذلك فان المجتمعين يقررون ان يتناقص الانتاج البترولي لكل دولة عربية مصدرة للبترول فورا بنسبة شهرية متكررة لا تقل عن ٥ في المائة ابتداء من الشهر الاول من رقم الانتاج الفعلي لشهر سبتمبر ١٩٧٣ . ثم تبدأ من الشهور التالية منسوبة الى رقم الانتاج المخفض من الشهر السابق، وهكذا حتى تفرض المجموعة الدولية على اسرائيل التخلي عن أراضينا المحتلة .

ومع ذلك فان الدول التي تساند العرب مساندة عملية فعالة أو تتخذ اجراءات هامة ضد اسرائيل لحملها على الانسحاب فانها لن تضار من تخفيض الانتاج وسوف يستمر تزويدها بالبترول كما كان قبل التخفيض .

وعلى الرغم من أن نسبة التخفيض من الانتاج واحدة لكل دولة ، فان ما ينال الدول المستهلكة منها قد يتزايد بمدى تعاطفها وتعاونها مع العدو الاسرائيلي .

ويوصي المجتمعون الدول المنفذة لهذا القرار أن تنال أمريكا أكبر تخفيض وذلك حسب استيرادها من كل دولة على حدة من البترول الخام ومشتقاته والمواد الهيدروكربونية ونسبة ما تستورده مقارنة بنسبة التخفيض .

ويوصون بأن يؤدي هذا الى قطع امدادات امريكا بالبترول من كل دولة على حدة منفذة لهذا القرار » .

النفط أقوى من السلاح الذري وأبعد خطراً

وتحرك موقف المملكة بالرد على التحرك الأميركي في دعم اسرائيل ، ابان حرب رمضان ، وانتقلت الى موقف اكثر تصلباً ، وبخاصة حين حملت الأنباء قرار الرئيس نيكسون بتزويد اسرائيل بكميات جديدة وهائلة من السلاح الاميركي ، فصدر في الثاني والعشرين من رمضان القرار التاريخي بتخفيض انتاج النفط ، وقد جاء فيه :

« قررت حكومة صاحب الجلالة تخفيض انتاجها فوراً ابتداء من هذا اليوم حتى نهاية شهر نوفمبر بنسبة ١٠ بالمئة ، وتبذل حكومة صاحب الجلالة الآن جهدها لكي تعدل الولايات المتحدة موقفها الحالي من الحرب الدائرة بين الأمة العربية واسرائيل ، ومساعدتها الحربية لها ، واذا لم تسفر هذه المساعي عن نتائج ملموسة فستوقف المملكة تصدير البترول الى اميركا » .

ولما أخذ قرار نيكسون سبيله الى التنفيذ ، اعلنت المملكة السعودية وقف تصدير النفط الى الولايات المتحدة ، وعملت مع الدول العربية المصدرة للنفط على تنسيق تلك المعركة المشرفة في صفحة التاريخ العربي الحديث ، مؤكدة انها لن تكف عن مواصلة استعمال هذا السلاح الذي قال المعلقون انه اقوى من السلاح الذري وأبعد خطراً ، ضد جميع الدول التي تقف في صف العدوان ، حتى تكف عن عدوانها وتتراجع عن مواقفها .

واستكمالاً لخطوط هذه الصورة ، نقول ان التحرك السعودي كان في رأس أهدافه تحييد القوى المساندة لاسرائيل ، وتحقيق المكاسب الحاسمة للقضية العربية . وحول هذا الموضوع قال فضيلة الشيخ عبد الحافظ عبد ربه في صحيفة « البلاد » السعودية بتاريخ ١٨ — ١١ — ١٣٩٣ :

«ان دولاً كثيرة أصبحت تعاني اليوم من نقص الطاقة ، حين دخل البترول العربي سلاحاً في المعركة ، مع الاحتمالات الهامة التي يمكن ان تفيد جداً ، لو استمر هذا السلاح وتعزيز فاعليته ضد هذه الدول الموالية لاسرائيل .

« ان جلالة الملك فيصل كان فعالاً وواقعياً في تنظيم عملية تخفيض انتاج النفط التي تركت آثاراً بعيدة في كافة أنحاء العالم . وكانت هذه المبادرة الى استخدام البترول ومشتقاته ، محوراً قوياً ترتكز عليه المعركة في دوراتها الشديدة وانطلاقاتها المستمرة المتجددة من التطلعات الفيصلية الواضحة الرؤية التي تمزق الغيوم والظلام ، والتي عرف العرب كيف يحولونها عجلة دائرة ضخمة فوق أضلاع الدول المساندة لاسرائيل والموالية لها .

« ان فراسة فيصل ودبلوماسيته في اركاب القضية العربية فوق ظهر البترول العربي كجواد انطلق في حلبة السباق ، تدلان على عمق جلالته في التجربة واصالته في الرأي .. ومن هنا فان اوروبا كلها تستعجل — في لهفة وظمأ — مؤتمر السلام المزمع عقده في جنيف والذي عساه ان يؤدي الى سلام دائم وعادل في المنطقة ، فيعيد الى العرب أرضهم السليبة وفي مقدمتها القدس ، ويعود الفلسطينيون الى وطنهم المغتصب » .

توقف اطلاق النار واستمرت معركة النفط

ولم تتوقف معركة النفط عند قرارات تخفيض الانتاج فحسب ، وانما رافقها ولازمها قرار رفع الاسعار بنسبة ٧٠ في المائة .

وتجدر الاشارة هنا الى ان قرار وزراء البترول بقطع النفط عن اميركا

كان مجرد توصية ، الا ان سائر الدول العربية المصدرة قد التزمت به . وكي ندرك مدى خطورة تنفيذ هذا القرار ، يحسن بنا الاشارة الى ان ما استوردته الولايات المتحدة الاميركية من النفط العربي قد بلغ خلال الشهر السابق لتاريخ القطع ، ٤٠ مليون برميل موزعة كما يلي :

السعودية	١٩,٧٩٤,٠٠٠ برميل
ليبيا	٦,١٢٥,٠٠٠ برميل
الجزائر	٥,٠٣٦,٠٠٠ برميل
الامارات العربية	٣,١٠٢,٠٠٠ برميل
مصر	١,١٤٢,٠٠٠ برميل
تونس	٩٩٣,٠٠٠ برميل
عمان	٤٥٠,٠٠٠ برميل
العراق	٣٤٠,٠٠٠ برميل
قطر	١٦٣,٠٠٠ برميل

ولم تكتف الدول العربية المصدرة بقطع النفط عن الولايات الاميركية المتحدة ، وانما شملت بموقفها هذا هولندا ، رداً على موقفها العدائي للعرب ، وتأييدها الفاضح للعدوان الاسرائيلي ،وفتحها مطاراتها وموانئها لتكون الجسر والمرتكز اللذين انطلقت منهما الاسلحة الاميركية المتجهة لاسرائيل. وعلى ذلك ارتفعت نسبة الخفض في الانتاج ، من خمسة بالمائة كما نص عليها القرار الى ١٥ بالمائة .

وأدى هذا الموقف الى اضطراب خطير في بنية الاقتصاد العالمي ، وتجلت الخلافات حادة قاسية بين الولايات المتحدة ودول السوق الاوروبية المشتركة التسع ، وبخاصة عندما اتخذت هذه الدول موقفاً ايجابياً من الصراع

العربي الاسرائيلي ، كما ان اميركا نفسها أخذت تعدل من سياستها ، وتسعى الى تحسين صورتها لدى العرب ، وبخاصة في اطار الدول المنتجة للنفط ، وتحرك وزير خارجيتها هنري كيسنجر في هذا الاتجاه ، وقد كتبت مجلة « السياسة الدولية » حول هذا التحرك الاميركي قائلة :

« كان التصور في البداية انه مع وقف اطلاق النار سوف يتراجع البترول العربي عن موقف التشدد الذي بدأ يتخذه ، على أساس ان الاجتماع الأول قد عقد في أثناء القتال مما كان يمكن أن يثير في الدول العربية الحماس والانفعال .

لكن القرارات الجديدة – بعد وقف اطلاق النار – خطت بالبترول العربي خطوات أخرى على نفس الطريق الذي قرر المسير فيه .

وكانت المفاجأة الثانية ما أعلنته المصادر الاميركية نفسها ، عقب المقابلة التي أجراها الملك فيصل مع كيسنجر في الرياض .

فقد أعلنت هذه المصادر ان الملك فيصل أكد لكيسنجر ان البترول العربي لن يعود الى ما كان عليه ، الا اذا عادت الأراضي المحتلة ومعها القدس الى العرب .

وقال لكيسنجر ان على اميركا ألا تنتظر شتاء واحداً قاسياً ، وانما يمكن أن تنتظر توقف امدادات العرب حتى عام ١٩٨٠ .

ولقد أحدث ذلك آثاره الفردية في امريكا التي بدأ الحديث فيها عالياً وواضحاً ، عن المشاكل الخطيرة التي يمكن أن تتعرض لها بتوقف وصول البترول العربي اليها،وكان الكلام في البداية ان هذا البترول لن يكون له تأثير ملموس » .

التخفيض مستمر والمقاطعة مستمرة

والواقع ان معركة النفط كان قد أعدّ لها وأُنذر بها قبل حرب رمضان ، وقد استمرت وسوف تستمر بعد وقف اطلاق النار الذي فرضه مجلس الأمن برعاية الدولتين الأعظم ، حتى يتأكد العرب من صدق النوايا والضمانات والتعهدات المقطوعة بتحقيق المطالب العربية العادلة .

وقد بادر وزراء البترول العرب الى عقد اجتماع ثان بالكويت في الرابع من تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٧٣ صدر عنه البيان التالي :

« اجتمع وزراء البترول للمرة الثانية في مدينة الكويت يومي ٤ و٥ نوفمبر ١٩٧٣ ، وتدارسوا الطريقة التي تم بها تنفيذ قرارهم الأول ، والآثار التي ترتبت عليه، واتخذوا قرارات منها ان يكون مجموع تخفيض الانتاج في كل دولة عربية منفذة للقرار هو ٢٥ في المائة من انتاج شهر سبتمبر داخلاً فيها الكميات المخصومة نتيجة قطع البترول عن امريكا وعن السوق الهولندية ، ثم يستمر التخفيض بعد ذلك في شهر ديسمبر بنسبة خمسة في المائة من انتاج نوفمبر ، على ألا يؤثر أي تخفيض على الحصة التي كانت كل دولة صديقة تستوردها من كل دولة عربية مصدرة للبترول خلال التسعة أشهر الأول من سنة ١٩٧٣ .

وتقرر ايفاد كل من وزير الطاقة الجزائري ووزير البترول والثروة المعدنية السعودي الى العواصم الغربية لشرح وجهة النظر العربية من القرارات البترولية المتخذة في الاجتماعين اللذين عقدهما وزراء البترول » .

وخلال الاجتماعات التي أجرتها منظمة الدول المصدرة للبترول – اوبيك ، عقد وزراء البترول العرب اجتماعهم الثالث في ١٨ تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٧٣ ، وصدر عنهم البيان التالي :

« اجتمع وزراء البترول العرب في فيينا في ١٨ نوفمبر ١٩٧٣ في اطار الاجتماعات التي قرروا عقدها بصفة دورية لدراسة أحكام القرار الذي اتخذ يوم ١٧ اكتوبر ١٩٧٣ .

« وتقديراً للموقف السياسي الذي أعربت عنه الدول الأعضاء في السوق المشتركة في بيانها المتعلق بمشكلة الشرق الأوسط ، فقد تقرر فيما يتعلق باوروبا عدم تنفيذ خفض بنسبة الخمسة في المائة التي كان مقرراً خفضها في شهر ديسمبر – كانون الأول – علماً بأن هذا الخفض سينفذ بالنسبة للدول الأخرى في أوروبا .

« وسينفذ قرار الخفض من جديد في شهر يناير ١٩٧٤ بنسبة ٥ في المائة بالنسبة لمتوسط شهر ديسمبر وسيتناول جميع الدول باستثناء الدول غير المعنية بالقرار ، وسيظل الحظر قائماً بالنسبة للولايات المتحدة وهولندا كما كان مقرراً أصلاً » .

لن نضحي بحريتنا في سبيل مكسب اقتصادي

وهكذا أظهر العالم العربي موقفه الديناميكي في استخدام سلاح النفط ، وحقه الشرعي في توجيه هذا السلاح ضد الدول المعادية لحقوقه ، وعمد الى تفنيد الدعاية المغرضة للاوساط الصهيونية القائلة بأن استخدام سلاح النفط العربي انما هو شكل من أشكال الابتزاز الاقتصادي .

وقد أحسن العرب الرد على هذه المزاعم الخبيثة ، بلسان وزير الطاقة الجزائري الاستاذ بلعيد عبد السلام ، وذلك في لقاء له مع رجال الصحافة الاميركيين ، اذ قال جواباً على سؤال وجه اليه حول امكانية استعمال النفط ليس ضد اسرائيل واصدقائها فحسب ، وانما ضد كل دولة يمكن ان تقف حائلة دون اماني العرب في عالم اليوم :

« لقد شرحت في مستهل المقابلة ما الذي حمل العرب على اعلان الحظر الحالي . وان أية دولة أخرى لكانت اقدمت على نفس العمل . ان أية دولة استولي على أراضيها وتمركزت قوات أجنبية فوقها ، ستسعى الى صيانة سيادتها بطرق مماثلة . ان ما فعلته الدول العربية.. الحرب والحظر .. ليس من الامور التي يقدم عليها بنزق واستهتار .

وانطباعي ، بكل صراحة ، ان ما يقلق الولايات المتحدة هو الخوف من أن يؤدي الحظر العربي في النهاية الى المساس بالعلاقات والاسلحة الاقتصادية التي تمتلكها الولايات المتحدة نفسها ، فالاميركيون يرون سلاحهم يتحول ضدهم .

والولايات المتحدة غالبا ما تستخدم الاسلحة الاقتصادية . ففي المدة الاخيرة كان هناك قسط كبير من الحديث بشأن سلاح النفط العربي لم يقابله سوى حديث ضئيل جداً من امور ، كتعديل جاكسون الذي اقترح مشروعا يرمي الى اخضاع تعاون اقتصادي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى وضع سياسي يتضمن الشؤون الداخلية للاتحاد السوفياتي .

وقد يطرح مراقب بعيد عن مسرح الاحداث السؤال التالي : لماذا الحاق الضرر بالاقتصاد الاميركي ؟ لماذا يمنع رجال الاعمال الاميركيون من القيام بأعمال تجارية جيدة مفيدة لكلا الاقتصادين السوفياتي والاميركي ، لا لشيء الا بسبب قضية الهجرة اليهودية ، قضية سياسية تتعلق باليهود الذين هم مواطنون سوفيات .

ونلاحظ بأنه كان هناك حظر وحصار اميركيان ضد كوبا طوال سنرات عديدة . وقد مارست الولايات المتحدة أو هددت بممارسة جميع أنواع الضغوط الاقتصادية ، ضد دول اميركية لاتينية أخرى ، في محاولة

لاقناعها بالاشتراك في الحصار الموجه ضد كوبا ، وقد نجم ذلك عن خلافات سياسية بين الولايات المتحدة وكوبا .

ونحن دولة آخذة في النمو تعطي الأولوية الكبرى للتنمية الاقتصادية ، وموارد زيتنا وغازنا هي سلاح في ايدينا ... سلاح يستخدم ضد تخلفنا الاقتصادي ،ولكي نخرج من وضع التخلف الذي نحن فيه علينا أن نبيع بترولنا .

وبالنسبة الينا لا نكسب البتة من دخول خصومات مع الدول المشترية والمستهلكة لبترولنا وغازنا . ولا نستطيع ان نسير قدماً اذا اتخذنا اجراءات حظر متتالية للبترول ضد هذه الدولة او تلك .

ولكن لدينا أيضاً مشكلة اخرى ، فلا نستطيع ان نعمل في سلام حيث لا يوجد سلام . فالازمة والنزاع الحاليان في الشرق الاوسط هما عقبة في وجه تنميتنا . ونحن العرب لم نكن لنرغب في انفاق كل هذه الاموال على الاسلحة ، لو لم تكن هناك مشكلة شرق أوسطية ، نزاع شرق أوسطي مع اسرائيل .

ولكي نسترعي انتباه العالم الى مظالم هذا الوضع ، علينا ان نستخدم سلاح زيتنا . ونحن لا نرغب في عمل ذلك ، وكنا نفضل بيع بترولنا وغازنا للجميع ، واستخدام الاموال للتنمية .

اننا لا نود بأن نؤخر تطورنا بسبب حروب وازمات وحظر للبترول .

ونحن نشعر بأن للولايات المتحدة مسؤولية كزعيمة لمجموعة من الدول ، عن تقدم السلام والاستقرار في جميع انحاء العالم . ونحن على استعداد للمساعدة على بلوغ هذه الغاية . ولكن اذا تحولت الدول الكبرى عنا فانه ليس لدينا أي سبب للقنوط من المستقبل . اننا نرغب في أن نعيش في تعاون

دولي ولكن بحرية وبمساواة .

انىا لن نضحي ابداً بحريتنا ولا بكرامتنا من أجل مكسب اقتصادي من أية دولة او كتلة » .

جدول زمني للمقاطعة مقابل جدول زمني للانسحاب

واذن ، فالوضع العربي القائم هو نتيجة لازمة لمواقف عدائية وجهت ضد العرب ، وهو باختصار : موقف بموقف ، وقضية بقضية .. صادقني أصادقك وأزيد ، وان عاديتني رددت عليك عدوانك .. وقد لخص هذا الوضع الشيخ زكي اليماني وزير النفط السعودي ، في تصريحه الى الصحفيين الايطاليين حينما وصل الى روما مع زميله الاستاذ بلعيد عبد للسلام ، فقال :

« اننا قلقون جداً من الوضع الاقتصادي في العالم بصورة عامة ، وفي اوروبا واليابان والبلدان المستوردة الأخرى بصورة خاصة ، وما نريده نحن هو السلام ، وهو شيء غال علينا ، ونحن اذن مستعدون للتعاون مع الجميع » .

وتابع العرب هذه المعركة بمهارة بالغة ، منافحين عن حقهم المقدس .. وأسفر الاجتماع الرابع الذي عقده وزراء النفط العرب بمدينة الكويت في الثامن من كانون الأول – ديسمبر ١٩٧٣ ، عن قرارهم القاضي بألا يرفع حظر التصدير عن اميركا ويعدل مستوى التخفيض، بموجب جدول زمني يقابله جدول زمني للانسحاب الاسرائيلي من الأراضي العربية ، وهذا نص القرار :

« اجتمع وزراء البترول العرب وممثلوهم الموقعون على هذا القرار في

الكويت يوم السبت ٨ ديسمبر ١٩٧٣ . وبعد الاطلاع على قرارهم الصادر في ١٨ نوفمبر ١٩٧٣ الخاص بوقف التخفيض المقرر لشهر ديسمبر لدول السوق الاوربية المشتركة عدا هولندا بحيث يستمر التخفيض بعد ذلك على جميع الدول المستثناة بنسبة خمسة في المائة لشهر يناير وذلك من مستوى انتاج ديسمبر ، اتخذوا القرار التالي :

اولا : اذا تقررت الموافقة على الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة منذ ١٩٦٧ وفي مقدمتها القدس ، وبمقتضى جدول زمني توقع عليه اسرائيل وتضمن امريكا تنفيذه ، يرفع حظر التصدير عن امريكا مع بداية تنفيذ برنامج الانسحاب ، وتقرر عندئذ نسبة التخفيض العامة على أساس الا يزيد التخفيض او ينقص عن النسبة الحقيقية السائدة وقت رفع الحظر لتزويد الدول المستهلكة للبترول .

وتسري عندئذ على امريكا شأنها شأن اوروبا وبقية دول العالم .

ثانيا : متى تم الاتفاق على الجدول الزمني للانسحاب يجتمع وزراء البترول المنفذون لهذا القرار لوضع جدول زمني يعود بمقتضاه الانتاج تدريجيا الى مستواه في سبتمبر ١٩٧٣ وذلك بشكل يتناسب مع مراحل الانسحاب .

ثالثا : تعطى الدول الافريقية والاسلامية الصديقة كامل كميات العقود المتعاقد عليها ولو اقتضى الامر زيادة الانتاج بنفس النسبة التي تكفل تغطية حاجاتها المحلية على أن يتم التأكد من عدم امكانية اعادة تصديره الى الدول المحظور البترول اليها » .

وقد نوه المعلقون الغربيون بالدور البالغ الأهمية الذي يلعبه سلاح النفط في حركة التضامن العربي ، وخدمة القضايا العربية ، والرسالة التي يضطلع بها فيصل بن عبد العزيز على صعيد المعركة الدائرة لايجاد التسوية العادلة المنشودة التي تقبل بها الشعوب العربية للصراع العربي الاسرائيلي . وحول هذا الموضوع كتبت صحيفة التايمز الأميركية تقول :

« ان الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية ، هو مخطط سياسة عربية بترولية هدفها احراز مكاسب سياسية .. وليس هناك أي أمل في العودة لمستوى انتاج النفط العربي لفترة ما قبل فرض القيود على انتاجه ، قبل التوصل الى تسوية ترضى عنها مصر وسوريا والأردن والفلسطينيون ، وهم الأطراف المعنية مباشرة بأزمة الشرق الأوسط » .

ومن النافلة القول بأن هذا الموقف العربي الذي تتزعمه العربية السعودية ، بتخطيط من العاهل الكبير ، قد أثار الهلع في صميم الدول الغربية التي أخذ شبح البطالة يطل عليها بسحنته الرهيبة ، فضلاً عن الأزمات الاقتصادية التي بدأت تهز أركان الاقتصاد الغربي ، ناهيك عن كابوس الشتاء القاسي الذي سيجتاح مدنها والصقيع الذي سيوقف عجلتها الصناعية .

وقد كتب المعلق هوبلجر جيتش يقول :

« لقد تمكن سلاح النفط العربي من إركاع عمالقة الاقتصاد ، وخلق حقيقة سياسية جديدة ، وعزل البقية القليلة من حلفاء اسرائيل ، بفعالية البرودة المتفوقة لا بالمدافع والقنابل والطائرات .

« وتعلمت الدول الكبرى فجأة ، معنى المثل العربي القديم : « ان صديق

عدوي هو عدوي ، وعدو عدوي هو صديقي » .. ولقد عرف العرب بالفعل أعداءهم : الولايات المتحدة ، هولندا ، البرتغال ، روديسيا ، جنوب افريقيا . وهذه الدول تعاني الآن من حظر بترولي كامل ، بسبب مواقفها الى جانب اسرائيل . وخسرت الولايات المتحدة البترول لأنها ارسلت أسلحة الى اسرائيل قيمتها ٢٢٠٠ مليون دولار خلال حرب اكتوبر . وقد انتفى حياد اميركا من جانب العرب الذين يحاجون بأن اسرائيل ما كانت لتعيش بدون دعم اميركا، ومن باب أولى عجزها عن احتلال الأرض العربية عام ١٩٦٧ » .

واذن ، فان الحرب النفطية قد شقت طريقها الى الديار الغربية ، وأخذت تحدث فيها تحولاً فعلياً ، كما أخذت تقارب أكثر فأكثر ما بين الدول العربية واليابان ، وتدفع الولايات المتحدة وهولندا في دوامة الأزمات الاقتصادية الخانقة ، وتلقي بظلالها على مستقبل هذه الدول ، لاسيّما وان الدراسات الاقتصادية تشير الى أن الولايات المتحدة الاميركبة ستكون عام ١٩٨٠ في وضع يضطرها الى استيراد خمسين في المائة من النفط الذي تستهلكه ، وان ثلثي هذه الكمية مصدرهما الشرق الأوسط .

وقد تعددت مساعي الدول الغربية لتخفيف الضغوط العربية ، مركزة جهودها بشكل رئيسي نحو المملكة العربية السعودية التي هي باعتراف الجميع مفتاح القوة النفطية . وأخذت الولايات المتحدة الاميركية بالذات تشعر بثقل العبء الذي رزحت تحته ، وبدأت الأحاديث تجري عن الشتاء القاسي في اميركا ، وعن الإجراءات الكفيلة بالحد من استهلاك الطاقة ، وصرح جيرالد فورد نائب الرئيس الاميركي بان اقتصاديات الدول الصناعية تعتمد على استمرار تدفق النفط بدون انقطاع « واننا جميعاً نعتمد عليه ،

وتنطوي العملية على استمرار هذه الدائرة، وهو أمر يقتضي تعاون الجميع. ان اغلاق صمام نفط في الشرق الأوسط يعني اغلاق مصنع للمحاريث الآلية في الغرب ، وتوقيف مثل هذا المصنع يتسبب في تضور بعض الناس جوعاً في العالم » .

السعودية ثابتة في موقفها ومستعدة لتحمل نتائجه

وتحرك كيسنجر في هذا الاتجاه ، آملاً ان تخفف المملكة من وطأة الموقف العربي عامة والسعودي خاصة .

وتجدر الاشارة الى أن الرئيس السادات وكيسنجر حين تبادلا الرأي حول الصراع العربي الاسرائيلي واستمرار سلاح النفط ، سعى الوزير الأميركي لدى الرئيس السادات ان تلعب مصر دوراً في تخفيف الضغوط البترولية العربية ، فما كان من الرئيس المصري الا ان أجابه بأن مفتاح القضية في يدي الفيصل ، وان السبيل الوحيد لاقناع العاهل السعودي ، ان تتعهد أميركا ، معززة تعهدها بضمانات ، بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر عام ١٩٦٧ .

والواقع ان الملك فيصل كان صريحاً وواضحاً ، وقد حدد موقفه وأعلنه للدكتور كيسنجر كما أعلنه لمندوبي الصحف ورجال السياسة على اختلاف جنسياتهم ، وهو ان بلاده ستواصل استخدام النفط كسلاح في أزمة الشرق الأوسط حتى تتحقق أهداف ثلاثة :

اولاً ــ الانسحاب الاسرائيلي التام من جميع الأراضي العربية المحتلة .
ثانياً ــ منح حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .
ثالثاً ــ التأكيد على الطابع العربي لمدينة القدس .

وإذن ، فان معركة النفط قد جعلت الولايات المتحدة الاميركية والمملكة العربية السعودية ، في موقف المجابهة .

وحين لوحت الولايات المتحدة بعصا العنف ، وبأنها ستعمد لاتخاذ تدابير مضادة ، جاء جواب المملكة على لسان وزير النفط الشيخ أحمد زكي اليماني ، بأن العرب سيردون على الاجراءات الأميركية بتخفيض انتاج البترول الى ٨٠ في المائة ، كما لن يترددوا في تفجير آبار النفط الملغومة منذ الآن رداً على أي تدخل عسكري .. ولن يتبدل الموقف العربي ألا بتبدل مواقف الدول المحابية لاسرائيل من القضية العربية ... وبهذا المضمون بالذات صرح الرئيس هواري بومدين لجريدة « النهار » تأكيداً على وحدة الصف العربي ووحدة الكلمة العربية . ولا ريب في ان القراء يذكرون ذلك التهويل الأميركي الذي سبق اعلان وقف النفط عن اميركا ، حين أجرى الجيش الأميركي مناورات عسكرية القصد منها احتلال دولة نفطية لم يذكر اسمها ، ووزعت وسائل الاعلام الأميركية الصحفية والتلفزيونية صور تلك المناورات التي تمثل الغزو الأميركي لمنطقة صحراوية.. ولكن ذلك التهويل لم يرهب أحداً ، وانما أثار الهزء والسخرية .

وصفوة القول ان العربية السعودية حين اختارت هذه الطريق ، دعماً للحق العربي ، كانت تدرك مخاطرها وتعدّ لكل حالة عدتها ، وقد أجاب مستشار جلالة الملك الأمير نواف بن عبد العزيز عن التساؤلات الكبيرة حول سلاح النفط ذي الحدين ، بقوله :

«أحب أن أقول أنه ليس ثمة من خطة ننتهجها الا ولها حدان، ويجب ان نتوقع أن تكون طريقها ذات مخاطر او ان لا تكون كذلك .. واستعمال سلاح البترول هو احدى هذه الخطط . ولا بد لنا حين نعتمدها من ان

نتوقع كل شيء . ولكن الحقيقة التي لا يمكن ان يلومنا عليها أحد ، هي اننا استعملنا حقاً طبيعياً لنا ، ومصدر ثروة لنا يخولنا حقنا بالسيادة ان نتحكم فيه كما نشاء . ونحن اذا كنا قد عقدنا العزم على هذه السياسة ، وقررنا السير في هذه الطريق ، فاننا مستعدون في الوقت نفسه لأن نتحمل ــ ويجب ان نتحمل ــ كل النتائج المحتملة ، في سبيل سياستنا وأهدافنا » .

وهكذا ، وبكل اطمئنان ، نقول ان المملكة السعودية سائرة قدماً في نضالها الاقتصادي والسياسي والتأهب العسكري ، والاضطلاع بدورها الطليعي في معارك العرب المصيرية ، لانتزاع الحق العربي ، ومن ابتغى وجه الحق لا يعرف في سبيل مطلبه سوى الشجاعة حافزاً والاقدام رائداً .

اوروبا الغربية تتخلى عن اميركا وتلتزم جانب العرب

وهكذا ارتفع النفط ، كسلاح سياسي ، الى المستوى المطلوب عبر انعكاس مواقف الدول الصناعية من أزمة الشرق الأوسط ، هذه المواقف التي أحدثت ثغرة كبيرة في العلاقات القائمة بين تلك الدول وبين الولايات الاميركية المتحدة .

ولا يخفى ان الولايات المتحدة قد سعت وما زالت تسعى ، منذ نشوب أزمة النفط ، لايجاد تكتل يضمها ودول اوروبا الغربية في جبهة موحدة ضد الدول المنتجة ، وذلك بالدعوة التي مهد لها وزير خارجية اميركا في لندن بشهر كانون الأول ــ ديسمبر ١٩٧٣ في سبيل « إنشاء مجموعة عمل من أجل الطاقة ، لوضع برنامج عمل طموح يهدف الى اقامة تعاون في مجالات الطاقة كلها » .

ومع اطلالة عام ١٩٧٤ دعا الرئيس نيكسون الى عقد مؤتمر للدول

الصناعية الغربية التسع : الولايات المتحدة وكندا والمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا وذلك للوقوف بوجه الدول المصدرة للنفط ، وبحث أزمة الطاقة .

الا ان الدول الأوروبية وان اكتوت بنار أزمة الطاقة ، لم تقبل الانزلاق في المنحدر الذي ترمي اليه الولايات المتحدة ، لأنها أدركت ان مصلحتها الحيوية ومستقبلها الصناعي يرتبطان بالتقرب من العالم العربي ، وتوثيق الصلات معه ، والابتعاد عن مخططات السياسة الأميركية .

وكانت ملامح هذه السياسة الجديدة قد ظهرت ابان الحرب العربية الاسرائيلية ، حين رفضت معظم الدول الأوروبية ان تكون معبراً للسلاح الاميركي الى اسرائيل . ثم تبلور الموقف الفرنسي بشكل بارز حين اجتمعت دول السوق الأوروبية المشتركة في السابع من كانون الأول — ديسمبر ١٩٧٣ ، لتدارس معطيات الحرب العربية الاسرائيلية ، وبحث أزمة الشرق الأوسط ، وانتهت الى اتخاذ موقف صريح الى جانب القضية العربية مؤكدة على ما يلي :

« أنه ينبغي على قوات طرفي نزاع الشرق الأوسط العودة فوراً طبقاً لقراري مجلس الامن رقم ٣٣٩ و٣٤٠ الى المواقع التي كانت عليها في ٢٢ اكتوبر.

« وان لدى هذه الحكومات الامل القوي أنه بعد موافقة مجلس الامن على قراره رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ اكتوبر سيصبح من الممكن البدء في اجراء مفاوضات لاعادة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط تطبيقاً للقرار رقم ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن بجميع بنوده . وتعلن عن استعدادها لبذل كل ما في وسعها للمساهمة في ذلك .

« وترى حكومات الدول التسع أنه يجب أن تدور هذه المفاوضات في

اطار الامم المتحدة التي يسند ميثاقها الى مجلس الامن المسؤولية الرئيسية في السلام والامن الدولي ، ويتعين على المجلس وعلى السكرتير العام القيام بدور خاص في اقامة السلام والمحافظة عليه تطبيقاً لقراري المجلس رقم ٢٤٢ و٣٣٨ .

« وتقدر الدول التسع الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة أن أي اتفاقية سلام ينبغي أن تستند بصفة خاصة الى المبادىء التالية :

١ ــ عدم جواز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة .

٢ ــ ضرورة أن تضع اسرائيل حداً لاحتلالها للاراضي التي تحتفظ بها منذ حرب ١٩٦٧ .

٣ ــ احترام سيادة جميع دول المنطقة واستقلالها ووحدتها الاقليمية وحقها في الحياة في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها » .

منعطف جديد في السياسة البترولية السعودية

ولم يتوقف الأمر عند خلاف اوروبا الغربية مع الولايات الاميركية المتحدة التي أدت مواقفها المشهورة في دعم سياسة اسرائيل العدوانية ، الى أزمات اقتصادية تهدد العالم بأسوأ النتائج وأشد الأخطار ، وانما امتد هذا الخلاف الى قلب الولايات المتحدة بالذات ، وشرع الشعب الاميركي بالتحرك ضد مواقف حكومته ، وأخذ يعبر عن شعوره بالقلق لهدر الثروات الاميركية في هبات ومساعدات لاسرائيل على حين يعاني هو من ازمة الطاقة في مصنعه ومدرسته وبيته .

وأخذ الدور الفرنسي القيادي لدول السوق المشتركة التي وقفت الى جانب القضية العربية ، يبرز بوضوح ، وبخاصة بعد التحرك السعودي

المكثف الذي تمخض عن اتفاق تاريخي ما بين المملكة السعودية وفرنسا ، تقدم المملكة بموجبه لفرنسا ٨٠٠ مليون طن من النفط على مدار عشرين عاماً ، مقابل خدمات تقنية فرنسية متطورة تقدمها فرنسا للمملكة .

وقد اعتبرت هذه الملامح الجديدة للسياسة البترولية التي تنتهجها المملكة ، منعطفاً مهماً في تاريخ هذه السياسة كان له دويه العالمي ، لأنه يشكل سابقة جريئة في مجال التعاون المثمر والمباشر بين الدول المنتجة والدول المستهلكة يلغي قاعدة الوساطة ودور الشركات .

وكان لهذا التحرك العربي السعودي على الصعيد الاقتصادي ، أهميته الكبرى على الصعيد السياسي ، واعتبره المعلقون تراجعاً ملحوظاً للديبلوماسية الأميركية وطعنة جديدة للسياسة الاميركية في ميدان صناعة الطاقة وفي ميدان الشرق الأوسط ، لأن الشركات الاميركية اكسون وتكساكو وسوكال وموبيل ، تملك ٧٥ في المائة من رأسمال شركة أرامكو التي تخطاها الاتفاق ، لا سيما وان هنري كيسنجر كان قد حذر الدول المنتجة للنفط وتلك المستهلكة له ، في أكثر من مناسبة ، من توقيع اتفاق ثنائي على مستوى حكومتين ، ووصف مثل هذه الاتفاقات بانها انتحارية ! !

وذهبت بعض الأوساط الموالية للولايات المتحدة إلى ان الاتفاق العربي — الفرنسي بمثابة شق عصا الطاعة للسياسة الاميركية ، ففي المانيا الغربية انتقدت صحيفتا « فلت » و« بيلد » الاتفاق ، فقالت الأولى : « ان فرنسا تتبع خطة تتعارض مع أهداف السياسة الأميركية » وأدانت الثانية بقوة ما وصفته بـ « النفط الفرنسي القذر » وقالت : « مرة أخرى يشق الفرنسيون عصا الطاعة من دون أي اعتبار لشركائهم » .

ولكن الى جانب تلك الاصوات الناقدة ، ارتفعت أصوات كثيرة تؤيد الاتفاق وترحب به وتدعو الى ثوثيقه وجعله منطلقاً لتاريخ جديد في العلاقات العربية الاوروبية . من ذلك ما نشرته مجلة « باري ماتش » الفرنسية ، في التعبير عن هذه البادرة الجديدة ، وبخاصة ذلك المقال الذي أدرجته تحت عنوان « حلف النفط المقدس بين فيصل وفرنسا » بقلم ميشال كلير ، وقد جاء فيه :

« العرب لا ينسون قط ، لا الخير ولا الشر ، وهذا مذكور ، على وجه التقريب ، في القرآن .

« منذ يوم الجمعة الماضي ، في جيب الرئيس بومبيدو رسالة مكتوبة بالعربية ، وهي ما زالت سرية حتى الآن، تجسد على نحو مثير هذه الحقيقة التي لم تكن أكيدة حتى الآن .

« في هذه الرسالة ذات الاصداء التاريخية ، يؤكد الملك فيصل للرئيس بومبيدو امتنانا يريد اظهاره من دون مزيد من التأخير وفي شكل ساطع ، واكبارا لسياسة الصداقة الفرنسية التي دشنها الجنرال ديغول ، يعد ملك النفط بأنه مستعد لان يجعل فرنسا « الدولة الصناعية الأولى في اوروبا » .

« وهذه جملة مشحونة بالأمل والديناميت . واذا كان لم يكشف النقاب عنها قبل الآن ، فربما كان ذلك لعدم ازعاج الذين ، من شركائنا الأوروبيين ، يتنقلون على الدراجات الهوائية يوم الاحد . وربما أيضاً لان وراء صيغة الملك الودية مطمحا عظيما. ذلك أن من شأن بروتوكول الاتفاق الفرنسي — السعودي الذي وقع الاسبوع الماضي في الرياض، أن يضمن « لمدة عشرين

سنة » الجزء الأهم من حاجات فرنسا من الطاقة ، وكونه يتعلق بـ ٨٠٠ مليون طن نفطا (أي خمسة مليارات و٦٠٠ مليون برميل) فان هذا الزواج الاقتصادي ، الاول من نوعه ، هذا العقد بين دولة ودولة ، يقلب وحده كل معطيات القضية . انه في آن نهاية التقليد المركنتيلي الذي أقامه « بارونات النفط » وبداية سياسة جديدة .

« انه مفترق هائل .

« ويبدو ان ثمة من استشعر الخطر : كيسنجر الذي اقترح ، منذ يوم الجمعة ٧ كانون الاول ، كحل لمشكلة الطاقة « مساهمة مالية وفكرية ضخمة من جانب الولايات المتحدة » .

« في الرياض ، ما أنجز يتعدى نطاق اتفاق نفطي ، ويرسي من خلال حلف النفط المقدس الاسس الاولى لأسرة اقتصادية فرنكو – شرقية .

« ولن تكتفي المنظمة المزمعة بتغطية حاجات فرنسا من الطاقة ، بل ستدخل في صلب الاشياء : من انتاج الذهب الاسود الى انشاء مصاف مشتركة ، ومن التمويل الى النقل ، ومن التصنيع الى تنظيم الاسواق . في اختصار ، سيحل محل احتكار الشركات الخاصة ، عملاق ذو رأسين لادارة هذه المجموعة الضخمة . أليس ذلك ما أيقظ كيسنجر فجأة ؟ » .

في سبيل كتلة عربية – اوروبية ترفض سيادة العملاقين

وعلى ذلك يمكن القول ان تحرك العربية السعودية النشيط على صعيد التقارب العربي الفرنسي ، الذي مهد له الملك فيصل بنفسه خلال زياراته المتعددة لفرنسا ولقاءاته المثمرة مع الجنرال ديغول والرئيس بومبيدو ، قد ركز الجهود على انشاء كتلة عربية – اوروبية تضمن التطور السريع

للاقتصاد العربي من خلال التكامل مع دول الكتلة الاوروبية ، وتلعب دورها الفعال في الحياة الدولية ، وهو دور طليعي يمكن أن تتجاوز به قدرة العملاقين — روسيا واميركا — اللذين حسبا ان الساحة العالمية قد خلت لهما ، فطفقا يقتسمان العالم ويتلاعبان بمقدرات الشعوب ، واذا بالمفاجأة العربية والمبادرة السعودية تهز أركان تلك الصفقة الدولية التي عقدها العملاقان على حساب الحق والحرية والعدل والسلام .

وقد صرح حول هذا الموضوع النائب الديغولي ريمون اوفروا ، الى مندوب الوكالة الجديدة للصحافة أثناء زيارته للقاهرة ، بقوله :

« جل اهتمامي هو تبين الترابط الوثيق بين العرب والفرنسيين في الميدان الاقتصادي ، فاني اعتقد ان هذا التكامل الاقتصادي هو أحسن سبيل لانشاء روابط راسخة دائمة بين اوروبا جمعاء والعالم العربي .

« بل اني أذهب الى ان في أزمة النفط عنصراً ايجابياً ، لانها أسطع دليل على هذا التكامل . فحتى رجل الشارع في اوروبا أصبح يفهم هذا الترابط بين بلاده والبلدان العربية ، في حين ان هذه الامور كانت حتى امس غير واضحة الا في حلقات الاقتصاديين المختصين .

« الهدف الاول والاخير من نشاطي ونشاط اصدقائي المنتسبين لجمعية الصداقة بين النواب الفرنسيين والعرب ، انما هو انشاء جامعة حقيقية بين الدول الاوروبية والدول العربية ، على نمط جامعة السوق المشتركة الاوروبية التي أنشأتها معاهدة روما .

« يستدل من الازمة الحالية ان اوروبا لا تمثل الدور اللائق بها ، حتى بعد توسعها وتزايد عددها من ست دول الى تسع ، إذ لا وزن لها بازاء العملاقين الشامخين .

« لكن اوروبا اذا استندت على العالم العربي الذي أصبحت تدعمه القارة الافريقية دعامة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، فانها تكتسب عندئذ مقدرة اقتصادية جبارة تمكنها من رفض سيادة العملاقين . لذلك تقتضي مصلحة اوروبا ذاتها التضامن مع العالم العربي لا بالالفاظ فقط بل بواسطة مؤسسة أو جامعة ذات صيغ قانونية ... » .

ويبذل السيد اوفروا رئيس جمعية الصداقة بين البرلمانيين الفرنسيين والعرب ، كل مساعيه في الوقت الحاضر لاقناع الجميع بوجوب عقد مؤتمر دولي يضم البرلمانيين الاوروبيين والعرب ، وينوي الذهاب قريباً الى لندن لاطلاع زملائه البريطانيين على مشروعه ، ويرجو أن ينعقد هذا المؤتمر في الفصل الاول من السنة الجديدة .

النفط العربي لبناء استراتيجية عالمية جديدة

وهكذا شرعت حرب النفط العربية الأبواب المغلقة ، وفتحتها على أقاليم البسيطة لا تستثني منها قطراً دون قطر وشعباً دون آخر .. وأبرزت روح العروبة الصافية في أبصار وبصائر المشرقين والمغربين ، بوجه مشرق جديد ، لا يقف ثابتاً دون حقه فقط ، بل يمد ساعديه الجبارين لبناء ستراتيجية عالمية جديدة تبدل كافة موازين القوى السابقة ، وتسهم عبر التعاون العربي – الأوروبي ، والعربي – الياباني ، ببناء حضارة جديدة أرضيتها ثروات الشرق وتقنية الغرب، في تعاون مخلص متكافىء يبرعم حلم المصلحين الأولين بخلق عالم السلام والمحبة ، والتطور والازدهار ، الذي تنتفي فيه لغة المدافع ، بعد أن رضي كل ذي حق بحقه ، مؤثراً السلامة على التجاوز ، ومغلباً الايثار على الاثرة ..

لقد وضع العرب بيقظتهم واتحادهم وتخطيطهم الواعي البعيد المدى ، والقيادة الحكيمة التي اجتمعت بها كلمتهم والتقت عليها مسيرتهم ،حلاً نهائياً لذلك التاريخ المظلم الذي تحكمت فيه الانفعالات والشعارات ، وأملته التبعية لهذا أو ذاك من المعسكرات ، وتنازعته العقائديات الغريبة والتيارات المريبة، ودخلوا عصراً جديداً عادوا فيه من غربتهم الى تاريخهم وأصالتهم ، وتحررت ارادتهم من كل الضغوط والأوهام ، عصراً لن تكون ثماره وقفاً عليهم بل ستنعم بها شعوب العالم النامي بأسره ،ومن اولى ثماره اقامة علاقات جديدة بين الدول المنتجة والدول الصناعية لاترتكز على الاستغلال والاستعلاء وفرص القيود الضمنية والمباشرة،وانما تقوم على التكافؤ والتعاون وتبادل المنافع بروح العدالة والمساواة والانصاف ، فهي علاقات أكفاء وأنداد لا مكان فيها لاملاء شروط أو ممارسة ضغوط ..

تلك هي بعض النتائج التي أسفرت عنها معركة الكرامة ، والآفاق الجديدة التي شقتها أمام الامة العربية ، وأمام الحضارة البشرية ومسيرتها الدائبة نحو الحرية والعدالة وغد أفضل للإنسان ، كل انسان .. وكل ذلك لأن قائد هذه المعركة وربان هذه السفينة هو الفيصل العظيم ، الذي كأنما نطق بصفاته الشاعر القديم :

غير مستنكر لك الاقدامُ فلمن ذا الحديث والإعلامُ ؟
قد علمنا من قبلُ انك من لا يمنع الليلُ همّه ، والغمام

رجل عام ١٩٧٣

انــه قائد المسيرة وملهم ملحمــة النضال في معركة الكرامة .. الرجل الذي كانت كلمته دستوراً لحياته ، وكانت حياته سلسلة من الانتصارات في مسارٍ صاعدٍ على الدوام ، ان تكلم فالمبدأ يفصح عن نفسه ، وان صمت فقلب يعي وعقل يدبر .. ولا عجب فهو سر أبيه أسد الجزيرة وسيدهــا : انــه فيصل العروبة والاسلام .

ق . ق .

شهادات حق في مواقف الحق

استأثرت مبادرات السياسة السعودية ومواقف جلالة الملك فيصل ، في الاشهر الأخيرة ، بالقسط الأكبر من افتتاحيات الصحف العالمية وتعليقات المفكرين والباحثين وتصريحات الساسيين البارزين ، لما تميزت به من جرأة في النهج ووضوح في الغاية وسداد في الرأي والتخطيط ، ولما كان لها من أبعاد في توحيد الصف العربي وتعزيز الجبهة العربية ، وثقل في معركة رمضان والنتائج الايجابية التي حققتها ، ولما سيكون لها من أثر فعال في مستقبل الأمة العربية سواء في ميدان الصراع العربي الاسرائيلي ، ام في ميدان النهضة العربية الشاملة والتطلع الى آفاق الحرية والعدالة والتنمية ، بعيداً عن المخططات الأميركية والسوفياتية التي حققت الوفاق بين الدولتين الكبريين لاقتسام مناطق النفوذ في العالم على حساب المصالح الوطنية وحريات الشعوب ، وتحدياً لهذه المخططات .

وقد رأينا أن من المكمل لهذا الكتاب عن العاهل السعودي والسياسة السعودية ، ان نختتمه بمقتطفات مما نشرته الصحافة العالمية في هذا المضمار ، لانها شهادات حق في مواقف الحق ، وانعكاسات مضيئة لسياسة مضيئة ، وهي غيض من فيض مما قاله المفكرون والسياسيون ورجال الصحافة في الشرق والغرب .

وقد قسمنا هذه المقتطفات الى خمسة أقسام ، القسم الأول خاص بقائد

المسيرة وملهم ملحمة النضال في معركة الكرامة والعزة والنهوض .. الرجل الذي كانت كلمته دستوراً لحياته ، وكانت حياته سلسلة من الانتصارات في مسار صاعد على الدوام ، سواء أكان ذلك في ميدان النهضة السعودية ، أم في ميدان القضايا العربية ، أم على الصعيد العالمي ، ان تكلم فالمبدأ يفصح عن نفسه ، وان صمت فقلب يعي وعقل يدبر .. وصفته الصحافة العالمية بأنه رجل عام ١٩٧٣ ، ولا عجب فهو سر أبيه أسد الجزيرة وسيدها : انه فيصل العروبة والاسلام .

ويتعلق القسم الثاني بالتضامن العربي الذي كان الهاجس الأول للملك فيصل ، وهو الطابع الذي يميز المرحلة الجديدة من مراحل التطور العربي ، والانعطاف الحقيقي في مسيرة الانسان العربي الذي يشق طريقه الى المكان الذي يستحقه تحت الشمس ، عبر انبعاث حضارة جديدة لأمة كانت هي التاريخ ، وتعاود اليوم دخوله من جديد بعد أن شرع الفيصل أمامها أبواب محرابه القدسي .

وينوه القسم الثالث بالجهاد الذي دعا اليه جلالته في سبيل الأرض العربية والمقدسات الاسلامية ، والجهاد رسالة سامية وهدف مقدس ، ويزيد في سموه وقدسيته نبيل الهدف ورفيع المطلب ، وتحرير الارادة العربية التي من مستلزماتها تحرير الأرض . وعالم العروبة الخارج من مستنقعات الهزيمة ، قد وجد ذاته تحت راية الجهاد الملونة بخيوط قوس قزح ، تصبغها بأنوار النصر وتفتح الآفاق للمستقبل المرتجى والغد الأفضل .

أما القسم الرابع فهو يعرض للموقف السياسي الذي رافق المعركة وتلاها ، فانشودة الجهاد وملحمة النضال هما وسيلة وغاية ، وموقف والتزام ، وسعي دائب على جبهات متعددة توسلاً للهدف المنشود ، والتحرك

السياسي الحاد التزام بالموقف ، وحشد للطاقة : انه الكلمة العمل .

وأما القسم الخامس فهو تأملات في شؤون النفط وآفاق المستقبل.ولكي يكون لنا مكاننا تحت الشمس ، يجب أن نحول أنفسنا الى فعالية ناشطة في نطاق الحياة ، ونترك بصماتنا بارزة في محراب التاريخ ، ونكون طاقة خلاقة مبدعة تنتزع احترا م الاعداء قبل أن تكسب أكبار الاصدقاء . والمملكة السعودية ، بحكمة القائد ، وشجاعة الموقف ، والرجولة التي تجلت بها في اللحظات الحاسمة، أثبتت فعالية سلاح النفط، موجهاً لخدمة قضايا العروبة والاسلام ، في وقفة باسلة ، لنصر الحق وازهاق الباطل .

انها معارك تليها معارك ، وملاحم تتلاحق بملاحم .. وفجر العروبة والاسلام آت لا ريب فيه .

– ١ –

كان الملك فيصل رجل عام ١٩٧٣ ، لأن له الفضل في استعمال الأمة العربية لقوتها الاقتصادية في الحرب الأخيرة ، ولا سيما بعد وقوف المملكة مع الأشقاء الذين تعرضت أوطانهم للاعتداءات الاسرائيلية ، وايقافها النفط عن الدول التي ساندت اسرائيل في عدوانها على الأمة العربية . والمملكة العربية السعودية هي أكبر مصدر للنفط في العالم ، وقد اهتمت بالتنمية حتى بلغت تكاليف مشاريعها خلال العام المنصرم ٤٠ مليار دولار .

الفايننشال تايمز

ان حكمة العاهل السعو دي وحنكته السياسية وقوة ايمانه ، أضفت على الموقف العربي تأييداً عالمياً لم يسبق له نظير .

القاضي عبد الله الحجري
رئيس الوزارة اليمنية

ان الموقف العظيم الذي يقفه الملك فيصل ، أصبح معروفاً عند الجميع ، عرباً وأجانب . وقد شعرت منه مباشرة ، بصلابة موقفه الذي يسير به الى نهاية المطاف ، فهو يقود المعركة الاقتصادية النفطية اليوم بحكمته البالغة ، ولن يتخلى عنها الا بتحقيق اهداف العرب في جلاء اسرائيل عن الأراضي المحتلة ، وبصورة خاصة القدس الشريف ، وتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني المشروعة التي يترك لابناء فلسطين ان يقرروها على الشكل الذي يرون فيه مصلحتهم .

الرئيس صائب سلام

ان كل عربي يعتز بموقف جلالة الملك فيصل الذي وضع كل ثقله في جانب الحق العربي ، سواء أكان ذلك بقواته المسلحة او المال أو الحنكة السياسية الناضجة التي يحترمها الخصم قبل الصديق .

عبد الله الأحمر
رئيس مجلس الشورى اليمني

أعود مطمئناً الى أن قضية العرب ، هناك ، في أيد أمينة . انهم في السعودية حكماء ، عاقلون ، صلبون ، وانهم جادون ومؤمنون بما يعملون ، وخطواتهم ثابتة في السبيل الذي يسلكون ، لأنها مبنية على ايمان وحساب ، ولأنهم مؤمنون بأنهم اذ يفعلون ما يفعلون ، يؤدون الواجب حيال قضية المصير ، اسلاماً وعروبة .

الرئيس تقي الدين الصلح

ان التضامن العربي في صورته الايجابية بين جلالة الملك فيصل وفخامة الرئيس أنور السادات يتجلى في كل خطوة من خطوات التحرك العسكري والسياسي والاقتصادي .

الدكتور عد العزيز حجازي
نائب رئيس الوزارة المصرية

ان شعباً كشعب المملكة يقوده الى المجد صانع من صناع التاريخ كفيصل بن عبد العزيز ، مؤمن لأن يصل الى أهدافه وغاياته ، فاليد التي استطاعت أن تصنع التاريخ في بلد التاريخ .. هذه اليد البناءة التي تصنع كل يوم مكرمة جديدة نعجز في وصفها مهما تحدثنا عنها ، هذه اليد البانية الحانية هي التي أعطت النماء والخير لهذه البلاد وللمواطنين ، وهي أيضاً التي ستعطي الخير كل الخير للعالم الاسلامي أجمع .

غالب حمزة أبو الفرج

التصفيق الذي استقبل به فيصل في مؤتمر القمة العربي بالجزائر ، كان تصفيقاً للشجاعة ، وهي احدى صفاته .

أما غداً فسيصفق العالم لحكمته التي هي رأس صفاته .

والحكمة التي ينتظرها العالم من فيصل بالذات ، هي التي تحمل على ممارسة حق حتى حدود حق الآخرين، فيدرك صاحب الحق دون المساس بحقهم ، فيمتص حلوه دون أن يذوق مره .

اذ ذاك

تسلم الشجاعة والحكمة

ويسلم السلام .

ادوار حنين

أريد أن أسجل الموقف التاريخي النبيل للمملكة العربية السعودية ، في المساندة الأخوية الرائعة بالمال والرجال والعتاد خلال معارك العاشر من رمضان ، ايماناً بوحدة الأمل والمصير المشترك .

ولولا تلك الوقفة السعودية من الشعب كله ، وعلى رأسه جلالة الأخ العاهل الكبير فيصل ، ما استطعنا ان نحقق شيئاً .. ان الوقفة الشامخة لجلالته ، أضاءت جبين الأمة العربية ورفعت هامات الشعوب العربية عزة وكبرياء .

والحق انه مهما اسعفتني قدرات التعبير ،فان الوفاء والحب الذي يحمله شعب مصر برجالها ونسائها ، بشيوخها واطفالها ، لشعب المملكة السعودية ، سوف يبقى دائماً أقوى وأخلد من كل الكلمات .

جيهان السادات

ان قلب الملك مع المدينة المقدسة ، ومن الحق أن يعرف الناس جميعاً ان كل تخصيص بالذكر لمدينة القدس ، في أي قرار او بيان عربي يتعلق باستعادة الأراضي العربية المحتلة ، انما مرده الى فيصل بن عبد العزيز .

محمد البعلبكي

يوم يكتب تاريخ هذه المرحلة من مراحل جهادنا ضد العدو ، فسيكون فيصل بن عبد العزيز هو المعلم الشامخ لهذه النقلة الهائلة في حياة الأمة ، والعنوان الضخم لهذا المنعطف التاريخي في نضالها .

محمد صلاح الدين

ان موقف جلالة الملك فيصل في حرب الشرق الأوسط ، يتجاوز حد التعبير ، لما عرف عن جلالته حفظه الله ، بمساندته لقضايا الأمة العربية خاصة والقضايا العادلة في العالم أجمع عامة ، ولا شك في أن جلالة الملك حفظه الله قد لعب دوراً رئيسياً في هذه المعركةالتي أعادت للشعوب العربية أهميتها وكرامتها ، وكان لسياسته الحكيمة دور كبير في تكاتف وتعاضد الدول العربية والاسلامية في خط واحد ، وكان للاتصالات الخيرة التي

قام بها جلالته أطيب الأثر في توحيد الصف العربي وتوطيد الأخوة الاسلامية ، مما أكد للعالم ان القضية العربية ليست قضية العرب وحدهم ، بل قضية العالم الاسلامي أجمع ، وقد لعب البترول دوراً فعالاً في المعركة، ولا شك في أن موقف جلالته المتصلب في ضرورة انسحاب اسرائيل وعودة حقوق الشعب الفلسطيني ، سيكون له أثر كبير في نيل العرب لحقوقهم المغتصبة .

المقدم فارح واعيسى دولي

عضو مجلس قيادة الثورة الصومالي

لقد فهم العالم الآن ان الملك فيصل هو الذي يقف وراء مصالحة السادات والحسين ، ووراء جتماع هذين مع الأسد في القمة الثلاثية بالقاهرة ، وبكلمة واحدة فقد أصبح فيصل الآن ملك ملوك العرب .

تيري دي جاردان

يا فيصل يا ابن عبد العزيز .

في جنيف غداً

نعرف ان صورتك ايها الملك ستكون في مخيلة المجتمعين . وان السلام يعنيك أنت . ونعرف ان الذين يتناقشون هناك ، انما هم يتحاورون معك ، وان الكلمة الأخيرة لك ، وان السلاح الذي تملكه ، وحده ، الفعال .

ليلى البعلبكي

المملكة العربية السعودية قد أصابت الغرب بجراح بالغة .

الصانداي تايمز

ان الولايات المتحدة اذا وصلت من ازمة الشرق الأوسط الى مرحلة الحرب البترولية ، فستجد نفسها هذه المرة في مواجهة رجل يفعل ولا

يقول ، ويقدم ولا يحجم .

يو . اس . نيوز

ان هذا الرجل هو الذي يمسك بين يديه الآن مصير الصناعة الغربية .

الاكسبريس

ان مكانة الملك فيصل برزت في هذه المعركة كما لم تبرز مكانة أي زعيم آخر .. ان الملك فيصل هو البطل الجديد لكثير من العرب الراديكاليين منهم والمحافظين .. وذلك بسبب الدعم الذي قدمه للمعركة واستخدامه البترول للضغط على العالم غير العربي .. كذلك يبدي الكثيرون اعجابهم بالملك فيصل لاصراره على اعادة مدينة القدس بما فيها من أماكن اسلامية الى السيطرة العربية .

النيويورك تايمز

الفيصل !

اسم لرجل ..

وموضوع لتاريخ ! !

هذا الاسم بات يتردد منذ تسنمه مرتقى القيادة في بلده ، ليتسع ويكبر .. ليعتلي رؤية الزمن المعاصر ، حيث أصبحت الانظار اليوم ترتفع الى علو ، وتردد :

فيصل .. فيصل ! !

فلماذا يتردد هذا الاسم في كل أطراف الدنيا اليوم .

من الخطورة ان يكون الادعاء هنا ممارسة تاريخية .

ولكن .. من الالحاح ان ننتبه الى هذه « الصياغة » الجديدة لتاريخ يكتب اليوم .. فيسجل مواقف زمننا الذي نحياه .. بكل ما فيه من قضايا ، ومن اهتمامات ، ومن محتوى .

اسم لرجل ! !

وهذا الرجل قد تخطى — بلا شك — مرحلة التقييم الفردي ، او المرحلي ، فهو الآن يتبلور تقييما لزمن متكامل .. تتواجد فيه ابعاد الآلام الانسانية المنصهرة في معاناة ظلم القوي لمن هو أضعف منه !

وأخطر ما يواجهه العالم اليوم : تسلط القوة على الأهداف ، والقيم ، والضمير ، والعدالة .

وأعظم ما يصاغ اليوم للانسان : محاولة ارساء الحق لانصاف الاهداف والانسان !

فلن تنتصر الوسائل المرحلية المرتكزة على رصد طموح الانسان ، وعلى دعوته للحياة الكريمة ، وعلى ايمانه بحقوقه المشروعة . تلك الوسائل لا بد أن تدحرها عدالة المطالب بالاحترام وبالاستقلال وبالتعايش تحت سماء السلام المتكافيء !

وهذه الفلسفة لم يمتهنها التاريخ ، ولكنه جافاها فترة طويلة من الزمن بسبب وثوب الوسائل المرحلية المنطلقة بشحنة القوة المادية والتكنولوجية !

وتبعاً لذلك .. اصطرع العالم وتمزق وتآكل .. التهمته تلك الوسائل لاتساع المصالح المادية البحتة .

هنا .. يبرز « موضوع » لتاريخ !

ذلك الموضوع غذاه « اسم الرجل » ، وفلسفة الرجل ذاته من معاني مبادئه ، ومن ايمانه برسالة انسانية قبل أن تكون تاريخية ، واستلهمه من تشريعات دينه ، وتوصيات نبيه الذي حقق الهداية ، ونشر النور على الكون !

ترى .. هل يكون هناك ما هو اسمى من الاسلام ؟!

قوة .. تفوق الوسائل المرحلية ، وتتخطى المصالح المادية ، وتنهض فوق قواعد من اليقين والايمان .

ومن قبل اندلاع واتساع مشكلة الشرق الأوسط .. كان « اسم الرجل » محط تقدير ، وموضوع رأي جاد ويتوازى مع قيمة الرجال .

« الفيصل » .. لا أستطيع هنا أن استعرض مواقفه العديدة ، ولكن الرجال يعرفون الرجال ، وتحدثوا عنه فما نكصوا ، واشاروا اليه فما ندموا ، وتعرفوا عليه فما خسروا .. وانما كانت المكاسب بمقدار الرؤية عندهم للحق ، وللعدالة ، وللضمير .

وعندما وصفوه .. لم يتفوقوا على أنفسهم بعباراتهم المجنحة ، ولكن الرجل تفوق على عباراتهم بأفعاله الحكيمة والعميقة !

عبد الله الجفري

— ٢ —

نحن سعداء بأن نزور المملكة ، وهي وجه من وجوه التحول العظيم ، والتقدم الكبير الذي حققته المملكة بفضل بانيها ، وبناتها الذين تسلموا منه واستمروا ، وأضافوا ، وجددوا ، والحمد لله .

نحن نشهد الآن شيئاً نعتز به ويعتز به كل العرب ، ويثقون ويعرفون ان هنا مركز القوة العظيم الذي يعطي للعالم كله الآن أهدافاً ، ويلمس لمس اليد قوة هذه الأمة ونهضتها الجديدة ، ووجودها الجديد ، وحقها في الحياة والتقدم ، وشأنها الكبير المنتظر .

الرئيس تقي الدين الصلح

وقد قلنا لكل مسؤول وفي كل مناسبة ، سواء أكان ذلك المسؤول

عربياً أم أجنبياً : ان المملكة العربية السعودية تقف مع العرب في المعركة لانها معركتنا نحن ، وتضع في سبيل هذه المعركة كل قواها وجميع امكانياتها .. ولقد فعلنا ذلك حقاً .

نواف بن عبد العزيز

ان ثقتنا بثبات ايمان الملك فيصل وصراحته في العمل وصموده في الجهاد ، كانت دائماً واضحة وقوية لا تتزعزع . وان الاحداث التاريخية التي نعيشها قد جاءت تؤكد ذلك تأكيدا أصبح يعترف به معنا ، جميع أبناء الامة العربية .

لقد كانت رحلتي الى السعودية موفقة ومفيدة والحمد لله ، وتأكدت فيها أيضاً ، ان التضامن العربي على مستوى القمة المسؤولة ، هو في المتانة والترابط التام اللذين تتطلبهما شعوب الامة العربية جميعاً .

واذا قلنا بالمعركة السياسية الاقتصادية ، وخصوصاً النفطية، فيجب ان يدرك الحميع ان الاستعدادات العسكرية ، لاي احتمال عسكري مقبل ، ما زالت قائمة على أشدها في سورية ، وفي مصر وفي السعودية كما رأيتها بنفسي . فالعرب لم يعد من حقهم ان يناموا على حرير رغم الدلائل والاشارات التي توحي بأن المعركة السياسية سائرة في طريقها الصحيح .

فقد شهدت بنفسي ، عرضاً عسكرياً رائعاً في السعودية حيث اطمأننت على قدرة الجندي العربي على استعمال السلاح الحديث الذي يستزيد منه كل يوم . وكانت الكلمات التي وجهها القادة الى جنودهم ، أثناء العرض ، تتخطى الحماسة والاشادة ببطولات اخوانهم المقاتلين في ساحات الشرف في مصر وسورية ، الى توجيهات جدية وواقعية تبعث الآمال في الحندي العربي الحديث وكفايته الروحية والعملية .

وموقف السعودية والملك فيصل الذي أشرت اليه أصبح واضحاً ، كل الوضوح عند اميركا، وعند جميع دول العالم،وخصوصاً دول اوروبا التي كان موقف التضامن العربي سببا لتضامنها وتوثيق وحدتها .

الرئيس صائب سلام

وجاء رجل الساعة الفيصل بن عبد العزيز منادياً بوحدة المسلمين وتضامنهم وتوحيد صفهم ، والرجوع الى الله الواحد القهار الذي ينصر من يعتمد عليه وينصره .

وكان لهذا النداء الكريم صداه الحسن بين مختلف دول وشعوب العالم الاسلامي ، فلاقت هذه الدعوة الكريمة تفهماً ، ولاقت نجاحاً ، ولاقت تعضيداً من كبار زعماء الأمة الاسلامية ، وشعوبها ، وكان من نتائج هذا التفاهم والتضامن الاسلامي ، كانت هذه الحرب المقدسة .. كانت هذه الجيوش الاسلامية التي زحفت للجهاد في سبيل الله ، لانقاذ الوطن العربي والمقدسات الاسلامية.. كانت هذه الحرب التي انتصر فيها الحق على الباطل، واستطاع العرب أن يكسروا شوكة الصهيونية وأعوان الصهيونية .

عثمان حافظ

وحده الملك فيصل يستطيع – في الظروف الراهنة– حسم الموقف وفرض حل عادل للمشكلة القائمة فيما يملكه من ثروة وأرصدة مالية ونفوذ روحي في العالم .

هذا الملك العظيم يتمتع بصفتين مميزتين تجعلانه اقوى شخصية دولية وعالمية في عصرنا الحاضر .

انه ملك العربية السعودية من جهة والممثل الروحي لجميع المسلمين في العالم من جهة ثانية .

هاتان الصفتان الكبيرتان تضعان على عاتق الملك فيصل مسؤولية ثمنمائة مليون من البشر يعيشون في شتى ديار المعمورة — وتضعان على عاتقه أيضاً حق رعايتهم — والدفاع عن حقوقهم وكراماتهم ومقدساتهم .

ان موقف الملك فيصل الاخير نابع من ايمانه العميق بمباديء المحبة والاخوة والسلام المبني على العدل والحق، ونابع أيضاً من كونه المؤتمن على المباديء والمقدسات الاسلامية لا في الديار المقدسة فحسب بل في جميع أقطار العالم .

هذه المسؤولية العظمى هي التي أملت وتملي على هذا الملك الكبير مواقفه .

وما موقفه من الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، والتمسك باعادة القدس الى عروبتها واصالتها ، والانسحاب من كافة الاراضي العربية المغتصبة — الا الدليل القاطع على القيام بهذه المسؤولية الكبرى .

ان العالم بأسره يتطلع اليوم الى الملك فيصل يناشده العمل من أجل السلام من جهة ، والحفاظ على المدينة من جهة ثانية .

ولكني على ثقة بأن الملك فيصل لن يكون في جميع مواقفه الا الملك الذي عهدناه : الملك المسؤول لا عن قضية العرب العادلة فحسب، بل عن قضية المسلمين والمؤمنين اينما وجدوا — وخصوصاً عن قضية القدس التي هي جزء من ديارهم المقدسة .

محسن سليم

أقوى من أي سلاح آخر ، تبقى وحدة الصف العربي . فمنذ صلاح الدين حتى عصرنا هذا لم يتمكن اعداء الغرب منهم الا حين كانوا متفرقين او متنابذين ، كما لم يتمكن العرب من أعدائهم الا يوم كانوا موحدي الصف او موحدي الكلمة .

لذلك فان من أهم شروط نجاح العرب في بلوغ أهدافهم من خلال « مؤتمر السلام » ، هو استمرارهم موحدي الكلمة حتى موعد المؤتمر بل خلال الاشهر الطويلة المقبلة .

ولعل من أهم أسباب توفر هذه الوحدة ، استمرار الاتفاق ، كاملاً وشاملاً ، بين مصر وسوريا من جهة ، واستمرار التفاهم والتعاون متيناً وصريحاً ، بينهما وبين السعودية والجزائر من جهة أخرى .

ومتى كان الاتفاق بين هذه الدول العربية الاربع قائماً ، فانه من الصعب على أي دولة كبرى اختراق الصف العربي ، او على أي دولة صغرى الصمود في وجه العرب .

باسم الجسر

لعل المتتبع لمواقف المملكة تجاه القضية الفلسطينية يجد فيها سياسة ثابتة مستندة الى مفاهيم واضحة تحدد ابعاد القضية بكل خلفياتها واخطارها على مستقبل الامة العربية منذ اللحظات الأولى التي برزت فيها اسرائيل بفعل المؤامرة الدولية التي اشتركت في نسج خيوطها الشيوعية والصهيونية العالمية والاستعمار

ومن يعد الى التاريخ يجد فيه سجلا حافلا بمواقف المملكة ازاء القضية وتمسكها بالحق العربي .

يوسف دمنهوري

الحرب المشتعلة الآن ضد العدو الاسرائيلي ، جاءت ، بطبيعتها العربية الاسلامية الصافية المنزهة عن شوائب الصراع بين الدول الكبرى والعقائد المتنازعة في العالم ، شاهداً على نجاح الدعوة التي حمل لواءها عاهل السعودية الملك فيصل منذ زمن بعيد ، الى التضامن الاسلامي والتعاون العربي بعيداً عن الخصومات المحلية ، تحقيقاً لهدف حشد الطاقات كلها من أجل المعركة

المصيرية التي لا بد للعرب وللمسلمين ان يخوضوها ضد عدو احتل أرضهم واغتصب مقدساتهم وشرد اخواناً لهم من ديارهم شر تشريد .

ولئن كانت المملكة العربية السعودية قد تحملت الكثير وضحت بالكثير في سبيل انجاح هذا النهج القويم ، وعملت بدأب وصبر وصمت على جمع الصف العربي والاسلامي لمواجهة اليوم العصيب كما يواجهه العالمان العربي والاسلامي الآن، مواجهة الرجل الواحد للقضية المصيرية الواحدة ، فما ذلك الا اثباتا لواقع يجب أن يعرفه العالم أجمع ، هو أن حربنا ضد العدوان الاسرائيلي حرب تسمو على المنازعات الدولية ، وعلى الخلافات العقائدية ، لأنها حرب دفاع عن النفس ، وحرب تحرير للوطن ، وحرب اعاد للحق وذود عن حياض الدين والشرف .

محمد بعلبكي

وان كان هناك استنتاج تاريخي وعلمي وقومي بارز يطل من وراء الحوادث التي وقعت ، قبيل الحرب وابانها ، وبعدها ، فهو ان التضامن العربي الصحيح ، قد اثبت عقائديته السليمة المنتصرة ، أكثر من أي جدل او صراع عقائدي آخر ، ضل معه العرب طريقهم الى الحقوق السليبة، وان الاسترداد الكامل للحقوق العربية السليبة ، كل الحقوق ، لا يمكن ان يبنى الا على أساس تضامن عربي قومي صاف ينبعث من داخل الذات العربية ، ليتجلى في ما بعد ، انسانياً منفتحاً متحضراً ، على صعيد الدول والشعوب صديقة كانت هذه الدول والشعوب للعرب ، أم كانت – لعلة فيها هي – غير صديقة ، ويكون على العرب عندئذ ، ان يعرفوا كيف يكسبون صداقاتها ، ويقضون على داء العداء فيها .

وتلك كانت ، وتظل رسالة العرب !

جورج رجي

تعطي المملكة كل ثقلها السياسي والاقتصادي والعسكري لخدمة اغراض معركةالتحرير التي تدور رحاها في الجولان وسيناء،مسخرة كل الامكانيات والقدرات في سبيل انتزاع النصر القريب ان شاء الله .

والتواجد السعودي على أرضية معارك التحرير منذ وحد هذه الجزيرة المغفور له الملك عبد العزيز ، ليس بالامر الجديد ولا الطاريء بل هو موغل القدم تنفرد به هذه البلاد،مستمدة مما أعطاها الاسلام من عظمة وشموخ واستقلال في الرأي والتصرف ، مستهدفة توحيد الامة في ظل شامخ الكرامة وابيّ الكبرياء .

ومن هنا فان مواقف الدعم العديدة عبر تاريخ هذه الدولة الحافل بجليل الاعمال تم بكثير من التواضع وانكار الذات،بعيداً عن الاستهلاك الاعلامي وما يحمله الادعاء من مباهات .

ويساير بخط واحد جزالة العطاء وصدق المشاركة التزام حكيم يعرف بالرصانة وبعد النظر فيمعالجة كلالامور ذات التداخلات الدولية بماتنطوي عليه من مضاعفات وابعاد تحتاج دائماً الى مثل تجارب الفيصل وخبرته .

لقد قدم القائد الرائد الدعم المادي في وقتمبكر،مؤكداً ان خيرات هذا الوطن انما هي ملك لكل قضايا الامة .

ودفع بالجندي السعودي باسلا وعربيا مخلصا يعطر الارض العربية بالدم الزكي ، مختلطا بدماء الشهداء العرب في ساحة النضال .

ثم كانت الخطوة الثالثة .. والرائدة .. التي هي خبر الساعة واهم احداثها ، عندما وظف فيصلنا أهم ثروة نملكها وأكثر ثروات المنطقة بأسرها ضخامة ، لمواجهة كل التحركات السياسية والعسكرية التي تسعى الى مساندة العدو في عدوانه وغطرسته .. بعد ان استنفدت الدبلوماسية

السعودية كل وسيلة لوقف التعاطف الامريكي مع اسرائيل.وبهذا فاننا انما نقوم بواجبنا كاملا خلف القائد الرائد في معركة أمتنا الظافرة، والخاسر الوحيد هو من اختار الوقوف بجانب اعدائنا .

جريدة « الرياض »

على كل لسان ـ لا في بلادنا السعودية ، والبلاد العربية ، والبلاد الاسلامية فحسب بل في كل بلاد العالم ـ على كل لسان : يجري الحديث عن الجهود المخلصة الصادقة، الموفقة، التي يبذلها جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز لوحدة الصف والهدف العربي والاسلامي ولخدمة السلام العالمي ، ولمواجهة الخطر ، والمحنة التي يواجهها المسلمون والعرب اليوم من أعداء الله والحق والعدل ، وانصار الظلم ، والجور والعدوان .

ان الجهود الفيصلية الموفقة التي يردد صداها العالم كله لا تهدف للاضرار بأحد ولا للعدوان على أحد ، ان هدفها هو اعادة الحق العربي لأهله وتنفيذ قرارات الامم المتحدة وخدمة السلام العالمي .. سدد الله الخطا وأعان .

علي حافظ

ابداً كان التضامن والالتفاف طريقاً اوحد الى النصر ، ودائماً ، كانت الاندفاعات التاريخية المعززة بايمان الشعوب ، واخلاصها لقضاياها وعمق شعورها بمسؤوليتها سبيلا فريداً الى .. الغلبة .. وباستمرار كانت الارادة المدعومة بالايمان وبالعمل وبالتضحية ، منطلقاً عاماً للوصول الى أشرف الغايات وأنبلها ..وعندما تحقق للامة العربية في صراعها الاخير مع ـ الصهاينة ـ بعض هذا ، أمكنها الوصول الى نقط الانطلاق الاساسية الى أمانيها .

غير ان ما هو أهم من كل هذا . هو ما كشفت عنه الاحداث وما

رسخته الظروف المتلاحقة على أرض المعركة ، من ان القضية مصير يشترك في الاحساس به المسلمون والعرب ، بل ويتقاسمون العمل في احراز النصر اليه بكل معطياتهم البشرية ، والمادية ، والمعنوية .

فعلاوة على الدعم الذي شهدته أرض المعركة ، وعلاوة على التأييد السياسي الذي تناقلته المحافل الدولية ، وعلاوة على اقدام أكثر الدول الافريقية المسلمة على قطع علاقتها مع اسرائيل ، علاوة على كل هذا .. كانت الغضبة الشعبية والعمل السريع والالتفاف الواسع ، مظاهر كافية لتأكيد أهمية ان نفكر بصورة متلاحمة، وان ننفذ بصورة مشتركة ، وان نتحرك أيضاً باندفاعة رجل واحد ، تهدينا العقيدة ، ويؤجج صدورنا الايمان الى الهدف الابعد، ويدفعنا الى الغاية ادراكنا البعيد لطبيعة الالتحام التاريخي بين شعوب الامتين العربية والاسلامية.. يحدث هذا على جميع المستويات الآن ، ليؤكد أهمية العمل الذي ظل الفيصل يكافح من أجله طويلا ، لتقريب وجهات النظر بين الشعوب الاسلامية ، يجمع كلمتها ويوحد أهدافها ، ويعمل على تحقيق أكبر قدر ممكن من التضامن بينها على مستوى القيادات والشعوب .

هاشم عبده هاشم

-٣-

لقد بذل جلالة الملك فيصل جهوداً كبيرة وما زال يبذل ، وهذه الجهود تتجلى في مجالات متعددة . لقد تأكدت خلال لقاءاتي بجلالته من ضخامة وأهمية الدور الذي يقوم به في معركة العرب ضد اسرائيل .

ان المملكة العربية السعودية دفعت بقواتها الى الجبهة السورية ، وهذه

القوات تمثل الصورة المتينة للعلاقات بين البلدين ، وموقف سورية والمملكة من القضية العربية .

عبد الحليم خدام

نائب رئيس الوزارة السورية

ان تساند العرب ، كل دولة من دولهم بحسب وضعها وامكاناتها ، لم يعد خافيا على أحد من الاقربين والابعدين :

فالمملكة العربية السعودية وجهت الى الجبهة السورية قوات كبيرة بكامل معداتها بدأت تشارك في القتال منذ يوم الخميس . كما أكدت مصادر ديبلوماسية في جدة ان جلالة الملك فيصل قرر امداد سوريا بمليار دولار دعماً لمجهودها الحربي .

وان قوات من الجيش الاردني تحركت امس ، في اتجاه سوريا . على ان يعلن دخول الاردن رسمياً في الحرب ضد اسرائيل بين يوم ويوم .

وان القوات العراقية المدرعة الضاربة ، وقوات العراق الجوية ، اتخذت مكانها في الجبهة السورية .

كل هذا الى جانب القوات المغربية ، والجزائرية ، والتونسية ، والليبية العاملة في الجبهة منذ حين .

في ما عدا العون الكويتي واللبناني ، ومشاركة امارات الخليج العربية .

هكذا

تكون الحرب المصرية ـ السورية ضد اسرائيل قد عُرِّبت ، بحيث اذا كان مجال للزيادة ، بعد ، فهذه الزيادة تكون في الكمية والنوعية لا في الحضور وقد تكامل .

ويكون العرب قد انتصروا على أنفسهم مرة جديدة في التاريخ .

ادوار حنين

هذا العمل السعودي الذي يقوده ويرعاه جلالة الملك ، ليس له من يكافئه المكافأة الحقيقية لدى البشر ، لأن مكافأته الصحيحة ستكون من اله الكون اولاً ، ومن التاريخ ثانياً ، وحسب الشعوب العربية ان تعبر لجلالة الفيصل عن المزيد من الحب والتأييد مشفوعاً بعميق الولاء وخالص الدعاء .

بشير العوف

في الشرق قابل العرب خطاب الملك بالسرور والابتهاج ، وفي الغرب تناولته الصحافة بالتعليق والتعقيب ، متخوفة من تصلب الملك فيصل ، وهو الذي لا يتراخى ولا يتراجع عما يعتقده حقاً وصواباً ، فكلمته راسخة ، ووعده محقق ، هذا ما جاء في مجلة باريسية على لسان السيد « جاروم ديمولن » الكثير التطواف في الشرق العربي .

والذي يعزز اعتقاد الغرب بصلابة جلالة الملك ، وسطوته المتفوقة ، وثباته الرائع ، ان النفط قطع عن العالم عندما شاء فيصل ، ولن يعود الا عندما يعطي جلالته اشارة الضوء الاخضر ، فهذا السلاح لا يرجع الى غمده ما دامت الاراضي العربية في أيدي الصهاينة ، فعلى العالم أن يختار بين الحرمان ومساندة التعسف الاسرائيلي .

توفيق وهبة

... والمملكة التي اضطلعت بقيادة جلالة الملك فيصل بأمانة الدفاع عن حقنا العادل ، فشاركت في المعركة منذ عام ٦٧ بقواتها التي لا تزال تواجه العدو في الجبهة الاردنية، اذ تدعم هذه المشاركة من جانبها بإيفاد قوات أخرى الى سورية لاداء الواجب المقدس في المعركة القائمة دفاعاً عن الشرف والكرامة واستردادا للارض وتحريراً للمقدسات .

ان المملكة حينما تشارك بقواتها على جميع جبهات القتال ، فانما تصدر في ذلك عن ايمانها بوحدة المصير وتتحول بمسيرتنا الوطنية مع اخواننا جنباً الى جنب وقلبا على قلب ، الىعمل واحد ستتهاوى معه معاقل الصهيونية في أرضنا المحتلة معقلا بعد آخر .

* * *

... وبعد فالمعركة اليوم كما قال بيان وزارة الدفاع والطيران هي معركة الدفاع عن الشرف والكرامة وتحرير المقدسات الاسلامية .

وها هو اليوم جيش الفيصل قد خاض معركة الشرف والكرامة الى جانب أشقائه المجاهدين في مرتفعات الجولان ، لينتصر باذن الله، ذلك أن كل جندي في هذا الجيش انما وضع نصب عينيه دائماً ، ان يكون على استعداد في كل لحظة وفي كل آن لان يلبي نداء الواجب ونداء الشرف الاسلامي ، وان يهب لبذل دمائه الزكية الطاهرة في سبيل المبادىء السامية التي يؤمن بها ، والتي تعتبر الاستشهاد في سبيل الله مطلباً يعلو على كل مطلب ، والجهاد في سبيل دينه امنية تجل على كل الاماني .

ولئن دلت مشاركة المملكة العربية السعودية في الجهاد الدائر اليوم على شيء ، فانما تدل على التصميم العربي القاطع على النصر ، والعزم الاسلامي الاكيد على رد المعتدين وكسر شوكتهم وتحرير الاراضي السليبة من سيطرتهم .

جريدة « البلاد » السعودية

وجلالة الملك فيصل المعظم لم يأل جهداً في عون اشقائه واصدقائه العرب ، الذين احتلت بلادهم والذين اخرجوا من ديارهم .. ويدرك ان

على المملكة العربية السعودية واجباً وطنياً ودوراً رئيسياً في مشاركة كل من الشقيقتين مصر وسوريا اللتين تعرضتا للعدوان .

واخيراً وبعد ان طفح الكيل وبلغ السيل الزبى ، أمر جلالته بأن توضع كافة القوات العربية السعودية بأقصى درجات الاستعداد ، للمشاركة في معركة الامة العربية المصيرية .

ولقد كان جزء كبير من القوات السعودية المسلحة على خط المواجهة مع العدو الاسرائيلي في الجبهة الاردنية الشقيقة ، ضمن الخطة العربية . وايماناً من جلالة الفيصل القائد الاعلى للجيش ان القوات السعودية يجب أن تشارك في جميع جبهات القتال ، فقد أمر جلالته بتحريك القوات المسلحة العربية السعودية لتؤدي واجبها المقدس في المعركة المصيرية ، وليمتزج الدم العربي السعودي مع الدماء العربية دفاعاً عن الشرف والكرامة ، واسترداداً للمقدسات الاسلامية والارض المغتصبة .

عثمان حافظ

كان ذلك منذ سنوات .. وقتها حمل الفيصل الامانة التاريخية الشريفة ، وبدأ دعوة الخير في محاولة مخلصة لجمع شمل المسلمين ، وتوحيد رأيهم ، وتنظيم صفوفهم ، وتكوينهم كتلة اسلامية صلبة ضد اعداء الأمة ، وضد من يريد بها سوءاً او يسومها ذلاً ، او تغريه نفسه بالنيل من مقدراتها وكيانها ، وقد حققت دعوة جلالته أهدافها الخيرة ومعانيها النبيلة وأغراضها السامية ، وظهر التقارب الاسلامي في أروع صورة عندما قامت دول من افريقيا بقطع علاقاتها مع العدو الاسرائيلي والتفافها مع العرب في قضيتهم .

وجاءت حرب تشرين لتؤكد عمق الصورة ، وتبعث الذهول في العالم ،

فقد برز التقارب والتفاهم بشكل أعاد إلى الذهن فجر تاريخ الأمة الاسلامية في أزهى عصورها وأبرز أدوارها ، وكان ذلك نتيجة للمسيرة التي قادها جلالته ، واللقاءات التي عمل من أجلها مع شعوب وزعامات العالم الاسلامي .

راشد فهد الراشد

المهم في الحرب العربية الدائرة حالياً ، هو انها وضعت حداً لخمسة وعشرين عاماً من الشك . الشك القاتل بقدرة الذات العربية على التحرر والصمود . والشك القاتل بامكانية الإنسان العربي على الوقوف في وجه المد اليهودي العنصري الرجعي المتحجر . الحرب العربية ، تعيد لذاتنا ، ما افتقدناه منذ نشأتنا ، كما تضع حداً للانهزامية التي سيطرت على عقولنا وقلوبنا ، حتى بتنا نرى في اسرائيل مجرماً لا يقهر .

الحرب العربية ، غسلت عارنا هذا ، وأعادت لنا كبرياءنا الضائع منذ الاستعمار التركي . لان الجندي العربي – فلسطينيا كان ام سوريا أم مصرياً – عندما يقدم على الموت والاستشهاد في جبهة القتال ، فهو ، لا يعبأ كثيراً ، بما يقال هنا وهناك ، عن خطط سياسية وعن المساومات السلمية التي عاشت في ظلها المنطقة خلال السنوات الماضية .

وديع الحلو

لم يكن اشتراك كتائب قواتنا المؤمنة في رد العدوان الاسرائيلي عن سوريا الشقيقة ، وفي حرب التحرير التي تخوضها أمتنا اليوم ، الا نموذجاً حياً للمسؤولية الاسلامية والعربية التي تقوم بها قيادة هذا البلد فجلالة الملك الذي أعلن التعبئة العامة والجهاد من أجل تحرير المقدسات ، وضع الاسس الواضحة أمام قواتنا المحاربة في أشرف معركة تطهر بها الارض وتنقذ بها المقدسات .

واذا كان تاريخنا العربي الحديث لم يشهد فترة اتحدت فيها الامة العربية كهذه الفترة التي تعيشها اليوم ، فلأن هذا العدوان اليهودي المتسلط على أراضينا ومقدساتنا يهدد أمن الوطن العربي بكامله ، ويطمع في المزيد من الاراضي ، فتكريس كل الطاقات والامكانات للمعركة امر تتطلبه ابعاد هذه المعركة وأهدافها .. وهذا ما تفعله الدول العربية اليوم .

وان التصميم على الاستمرار في المعركة حتى نحقق الهدف الاساسي منها ، الا وهو تحرير أراضينا من العدو المغتصب ، هذا التصميم بعد عون الله هو الطريق الى النصر .

محمد محمود حافظ

... ثم كانت المفاجأة في العاشر من رمضان حين ردت الامة العربية العدوان بقوة أذهلت العدو وأوقعت في صفوفه الرعب والاضطراب . كانت الصحوة الرائعة بعد الكابوس الثقيل .. وسرعان ما تغير في أيام كل شيء ، وأطلت هذه الامة على العالم لاول مرة في تاريخها الحديث بحقيقتها وأصالتها ، جادة حازمة باسلة ، ثابتة الخطى ، قوية الارادة ، صادقة العزيمة ، موحدة الصف ، ماضية نحو هدفها بايمان راسخ وبذل سخي وبطولة رائعة .

وصاح العالم انها الحرب .. وراح العدو يصرخ من عنف الضربة وهول المفاجأة .. ولم يكن يقدر ابداً أن هؤلاء الذين ظل ربع قرن يعتدي عليهم ، ويحتل أرضهم ، ويدمر ديارهم ، ويعدهم للخضوع والاستسلام ، سيتحولون هكذا وبغتة دون مقدمات ، الى قذائف من لهب تضرم الارض ناراً ، وتجعل العدو يترنح ويطامن من غروره وكبريائه ، وتجعل من دعوى قوته التي لا تقهر وهماً فارغاً واسطورة جوفاء .

أجل انها الحرب التي انتظرناها سنين طويلة، والتي انتصرنا فيها ــ منذ أطلقنا أولى قذائفنا في سيناء والجولان ــ على أنفسنا، وسحقنا الوهم الذي حاربنا به عدونا ، ومزقنا تلك الصفحات السود التي ظلت شبحا يطارد عزائمنا ، وقلنا للعالم ما يجب أن يقوله دائماً صاحب الحق السليب ، ما دام العالم في هذا العصر يصفق للاقوياء ، ويدوس الضعفاء ، ويضن عليهم بكلمة عطف أو رثاء .

الاذاعة السعودية

لقد أكد وزير البترول السعودي مجدداً موقف المملكة العربية السعودية الذي كان دائماً وأبداً لا يقبل التسويف والمساومة ، وهو اننا « لن نقبل أي شكل من أشكال الوصاية من جانب أي دولة » ومعنى ذلك لا لبس فيه ولا غموض ، اذ جعلت القيادة الحكيمة لجلالة الفيصل لهذا البلد الآمن ، كياناً حراً يأبى أهله أن تمس شرفه وحريته ، أضاليل وذيول ما استحدثته تطرفات العصر ، من منزلقات التلاعب بالمباديء والعقول .

فائز حسين

هذه المرة بدأ العرب الحرب ، ليس هناك من شك في ذلك ، ومن المعقول أن اسرائيل كانت تهيىء لسوريا بسبب عملية النمسا ، وهذا استفز السوريين والمصريين معاً . ولكن لا يمكن ان تكون اسرائيل اختارت أن تضرب الجبهتين معاً في نفس الوقت قبل التعبئة العامة . من الواضح ان المصريين وقد ذاقوا مرارة الحرب الغادرة في عام ١٩٦٧ قرروا أن يكون تصورنا ان العرب يبتعدون رويداً رويداً عن العنف ويتجهون نحو حل مشكلاتهم بالطرق السياسية والدبلوماسية . ولكن لم نكن وحدنا نفكر هكذا ، فكل المراقبين الغربيين ــ بمن فيهم سفير اسرائيل في لندن ــ كان

هذا رأيهم .

ما هو هدف القادة السوريين والمصريين ؟ ان تصرفهم خلال هذه الاشهر الماضية جعل المراقبين الدوليين يعتقدون أن عهداً جديداً من الاعتدال العربي قد بدأ . لقد ابتعدت مصر عن ليبيا متقربة من السعودية، وأبدت وجهة نظر معتدلة في الامم المتحدة . أما سوريا فقد أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا والاردن ورحبت بالدكتور فالدهايم وأجلت الفلسطينيين المتطرفين من أراضيها. هل كان هذا كله نوعاً من الخداع ؟ هل كان ستاراً يخفي وراءه نيات كبيرة؟ليس تماماً، لان النيات الكبيرة لم تكن حقيقة غائبة . كانت سوريا تقول دائماً انه لا يمكن أن يكون ثمة اتفاق مع اسرائيل ، وان ما أخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة . وكانت مصر تقول لبضعة أشهر ان الحل السلمي غير وارد ، لان اسرائيل متعنتة واميركا تدعمها الى اقصى حد ، ولذلك يجب أن يستعد العرب لمجابهة شاملة . لقد أخطأ المراقبون الغربيون عندما فسروا هذه التصريحات بأنها مجرد كلام .

والآن يظهر أنه يتعين أخذ اقوال المصريين بأن البترول يجب أن يكون أحد الاسلحة في المعركة، بجدية . ويا للغرابة اذا كان هذا هو أيضاً اعتقاد الملك فيصل . لقد زاد نفوذ الملك فيصل مؤخراً في مصر وسوريا . وقد اكتشف طريقة ذكية لاستعمال البترول كميزان في دبلوماسية الولايات المتحدة .

التايمز

أمام المد الاسرائيلي في قلب افريقيا وتزايد خطورته ، كان لا بد من خطوة عربية حاسمة ومدروسة لقطع الطريق على الاخطبوط الصهيوني .

فجاءت خطوة الملك فيصل في هذا المجال وجولته الواسعة في البلدان الافريقية ، بداية لما يمكن تسميته بتغيير النظرة الافريقية تجاه اسرائيل . ثم كان مؤتمر الجزائر لمجموعــة عدم الانحياز تكريساً من قبل الدول العربية المشاركة في هذا المؤتمر لنظرة عاهل المملكة العربية السعوديــة الحكيمة ،وتبنيا لسياسته الجديدة تجاه دول القارة الافريقية .

زهير صابر

- ٤ -

هذا التغير الكبير ، يعني تغيراً في النظرة الى الاشياء وتقييم أحجامها ومعطياتها ، كما هي ، وليس كما يصورها الطغيان الفكري على اختلاف صوره ، وهذه بداية الطريق الى حل جميع المشكلات التي يمكن ان تعترض طريق التقدم العربي .

وانه لمما يعزز هذه الانطلاقة العربية ، نحو تجديد بناء الكيان العربي في العالم ، انها لا تستند الى مجرد قوة مادية (نفطية او مالية) ، بل هي تعتمد على معين لا ينضب من القيم الروحية والمباديء الانسانية التي تسمو بها الرسالة الحضارية لاية أمة ... والعالم اليوم في أشد الحاجة الى مثل هذه الرسالة .

الياس بدوي

انه لمن المهم جداً أن أجد نفسي في هذه الآونة هنا ، في المملكة العربية السعودية وعلى رأسها شخصية بلغت سمعتها جميع أنحاء العالم،رجل أعطى للدين الاسلامي معناه العظيم،وسار بالعالم الاسلامي نحو التآخي والتضامن، ومن المؤكد في بلد كهذا عرف السلام منذ ١٣ قرناً ، أن تظهر شخصية

كشخصية جلالة الملك فيصل ، وانه من المهم بالنسبة لنا أن يكون جلالة الملك فيصل من خلال اتصالاته بالجنرال الراحل دي غول وبخلفه فخامة الرئيس بومبيدو ، قد تعرف على ما نكنه من أحاسيس ومشاعر طيبة لهذا البلد ملكاً وحكومة وشعباً ، ومن هنا فانه يمكن لنا أن نتعاون على ارساء القواعد السامية للعلاقات القائمة بين بلدينا ، وانني أؤكد ان بلادي تمد لكم يدها للتعاون في شتى المجالات ، وفي ما ترغبون فيه ، في جو من الثقة والوئام ، وسنحاول حسب امكانياتنا ، ان نستجيب وان نتلاقى على الطريق الذين رسمتموه .

ميشال جوبير
وزير الخارجية الفرنسية

منذ وقعت المعركة ضد اسرائيل على الساحتين المصرية والسورية أدرك الرأي العام العربي بصورة عفوية ،ان قمة القاهرة الثلاثية التي رعاها وشارك في انجاحها فيصل ، لم تكن سوى مقدمة تكتل وتنظيم وتنسيق بين دول المواجهة العربية ، وفي سبيل المعركة التي بدأت بعد أربعة وعشرين يوماً فقط من القمة المشار اليها .

عامر

ومن قبل أن تندلع نيران الحرب الرابعة ، حرب العاشر من رمضان المبارك ، كانت تحركات القائد الزعيم المسلم « الفيصل » في مؤتمر الاخوة ، ودعوته الى نبذ الخلافات الجانبية .. فكان من مخاض تلك التحركات مؤتمر القمة الثلاثي في القاهرة ، وقد أجمعت كل الصحف العالمية ووكالات الانباء على أن « الفيصل » هو الذي صنع الخطوات الفعالة الهامة في الفترة الاخيرة لما قبل الحرب . ثم كان الاعتزاز العظيم بشجاعة الجندي

المصري ، والجندي السوري ، واثبات خبرته العسكرية ، وصموده ، واستبساله المشرف ، فصنع بتوفيق الله هذا الانتصار الذي نتابع تصاعده فوق ساحة الشرف .. في الجبهة لاسترداد الاراضي المغتصبة .

عبد الله جفري

عندما أعلنت المملكة في أكثر من مناسبة انها ستجند كل طاقاتها ، وامكانياتها لخدمة المعركة كانت تعني كل كلمة تقولها .

لم تكن تطرح كلاماً للاستهلاك .. ولكنها كانت تطرح موقفاً تلتزم به في كل الظروف وكل الاحوال ، وتقدم من أجل الوفاء به الكثير من التضحيات ، تنطلق في ذلك من ايمانها بأهمية تسخير كل القدرات لخدمة معركة التحرير العربية التي تخوضها قواتنا ببسالة لتطهير الاراضي المحتلة والمقدسات التي ترزح تحت الاحتلال الصهيوني .

جريدة « الرياض »

بات في حكم المؤكد أن يتخذ الموقف الذي اتجه اليه الملك فيصل بالنسبة الى علاقات المملكة العربية السعودية بأميركا ، ابعاداً بالغة الاهمية . ذلك انه اذا كان اليهود يملكون قوة ضغط كبيرة على البيت الابيض ، وخاصة على الكونغرس الاميركي ، بحكم سيطرتهم الاعلامية ونفوذهم الاقتصادي ، فإن مما لا ريب فيه ان حاجة أميركا الى النفط السعودي خاصة ، والى النفط العربي عامة ، وما يمكن أن يكون لموقف السعودية من تأثير على سائر دول الخليج المنتجة للنفط ، يشكل بدوره قوة ضغط تمس المصالح الاميركية الحيوية مباشرة ، بل تمس مصلحة المواطن الاميركي الذي سوف يشعر بأنه يضحي بحاجاته الاساسية من أجل دعم العدوان الاسرائيلي .

كذلك تبدو أهمية الموقف السعودي ، في الدعم المالي الكبير الذي قدمته

السعودية الى سوريا ، وهو من شأنه أن يوسع نطاق الدعم الى مصر وسوريا بما يضمن استمرار القتال الى أمد تعجز اسرائيل عن التصدي له ، لان اسرائيل وان كانت قادرة على تعويض خسائرها في المعدات ، فهي عاجزة عن تعويض خسائرها في الطاقة البشرية،مهما كان عدد المتطرعين الذين يأتون اليها ، وتتعمد هي اثارة ضجة اعلامية حولهم .

والذي يلفت نظر اسرائيل في الوقت الحاضر ، بقدر ما يلفت نظر البيت الابيض والشعب الاميركي ، هو ان المعركة ضد اسرائيل بدأت تتخذ طابعاً قومياً ليس من السهل تجاهله . فالتحرك العربي الذي افتتح بالتأييد الكلامي التقليدي يتحول تدريجياً، وبقدر ما تستطيع كل دولة، الى دعم عملي متصاعد .

نشأت التغلبي

ان العالم الاسلامي في حاجة الى قائد وزعيم يلتف حوله المسلمون ، ويكون قادراً على تفهم الاسلامو واجب الزعيم الديني تجاه الامة الاسلامية، وقد اقترحت أن يكون هذا الزعيم هو جلالة الملك فيصل ، ينسق امور المسلمين فيما بينهم ، وقد جاء اقتراحي يقيناً مني بأن جلالة الملك فيصل المعظم هو أجدر زعيم اسلامي يحمل هذه الأمانة ، حيث ان لديه الخبرة الطويلة والدراية الكاملة بأمور المسلمين، والعقيدة الراسخة بواجبه الاسلامي تجاه الامة الاسلامية .

وقد لقي اقتراحي هذا تجاوباً مع جميع الزعماء المسلمين الذين اجتمعت بهم ، وهم يؤيدون هذه الفكرة تأييداً كاملاً ، وسيعملون على تحقيقها .

عيدي امين
رئيس جمهورية أوغندا

لقد بدا جلياً ان أمة الاسلام حققت في موسم الحج هذا العام ، عطاء عظيماً لنفسها ، حيث وضحت الرؤية أمامها كثيراً ، وتبين لها طريق الخلاص ، فأعلنت العزم على المضي فيه حتى تتحقق رؤاها وآمالها العظام .

ولقد تجسد ذلك في اجماع القادة والزعماء الذين شاركوا في مسيرة الحج الكبرى ، على أن المؤامرات التي تحاك ضد الاسلام ، والاحقاد التي تخطط لتلك المؤامرات والمكائد، قد وصلت الى مستوى بات فيه من الواجب دينياً ووطنياً وانسانياً الالتفاف حول راية التضامن الاسلامي ، فعالاً وايجابياً وعلى كافة المستويات والآفاق . وان هذا الالتفاف حوله راية التضامن الاسلامي يتطلب باديء ذي بدء توحيد القيادة والزعامة في شخص تتكامل فيه عناصر الايمان القوي بالله ، والتمسك الصادق بمبادىء الاسلام، والرصيد العظيم من ولاء المسلمين ومحبتهم وتعلقهم .

محمد عبد الكريم حداد

إن موقف الملك فيصل في ٦ أكتوبر موقف منبثق من شعور وطني ، فالتعاون الذي تم وسيتم بيننا وبين مصر ، سيشمل جميع المجالات ، فمنذ أيام وقعنا اتفاقية خط أنابيب بترول السويس – الاسكندرية ، كما اتفقنا أيضاً على اقامة شركة الاستثمارات العربية ، ونرجو أن يتم تنفيذ مستودعات عربية مشتركة في جميع المجالات على أسس من الدراسة والتخطيط .

هشام ناظر

وزير الدولة السعودي

وهذه الخطوة في حد ذاتها ، أبرزت للعالم أهمية وفعالية القيادة والتحرك الايجابي الذي تقوم به حكومة هذا البلد المسلم الحر الأبي ، الذي لا يخشى في تعامله مع الآخرين أحداً ، لأنه غير مقيد باتفاقات ومعاهدات دولية

تحتم عليه الخنوع ، أو مثقل بالديون وفوائدها ، فهو ولله الحمد بحكم سياسته الوطنية الرائدة البناءة التي تجعل في طليعة علاقاتها وتعاملها مع الآخرين مصلحة الوطن والمواطن .

فتحية إعجاب وتقدير لمن آلى على نفسه أن يعمل ليل نهار ، من أجل رفع وطنه وأمته عالياً ، واحلالها المكانة اللائقة بها في هذا العالم ، وصدق الله العظيم حيث يقول في محكم كتابه العزيز : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

عبد العزيز السويلم

تعتبر المملكة العربية السعودية في نظرنا مصدراً رئيسياً من مصادر الدعم للارتباط العربي الافريقي ، فهي ذات مواقف فعالة ، ولها شخصية دولية عظيمة ، وتملك ثروات هائلة ، فاذا ما نحن أردنا أن نضع علاقاتنا بالدول العربية على محور عملي وفعال ، فان الالتقاء بالمسؤولين في هذه البلاد وعلى رأسهم جلالة الملك فيصل ، هي البداية القوية لمثل هذا التفاهم ، ومحور هام من محاور الاستراتيجية الجديدة التي يجب أن تترسمها سياسة الدول الصغيرة في هذا العصر .

سورى ابرهيم كوروما
رئيس وزارة سيراليون

— ٥ —

قيل للملك فيصل ان شعب اوروبا واميركا سوف يبرد هذا الشتاء من جراء تخفيض انتاج النفط او وقف تصديره ، فأجاب العاهل السعودي : « والشعب الفلسطيني الم يبرد منذ ٢٥ سنة كل شتاء ، فليس كثيراً على

بعض الاوروبيين والاميركيين ان هم بردوا سنة من أجل ان يعود الحق الى نصابه » .

ولما جاء هنري كيسنجر الى الرياض من ضمن جولته في الشرق الاوسط، استعرض مع السيد عمر السقاف المواضيع التي يريد أن يبحثها مع الملك فيصل ، ولما وصل الى موضوع البترول قال له السقاف : « لا أنصحك » . ولكن كيسنجر أصر باعتبار انه يحمل رسالة من الرئيس الاميركي الى العاهل السعودي بهذا الصدد وعليه أن ينال جواباً عليها . فقال له الملك فيصل : « ألم تطالعوا نص قرارنا بالتفصيل ؟ أنه يقول ان لا بترول قبل انسحاب اسرائيل ... هل هذا واضح ؟ » فقال كيسنجر : « هذا واضح . ولكن ... » الا ان الملك انهى الموضوع بتأكيده « ان هذا واضح وليس بحاجة الى توضيح ... ولا رجوع عنه الا اذا كانت اميركا على استعداد لاتخاذ موقف جديد » . وأشار الى التلفون الأبيض الذي كان على طاولة صغيرة بينه وبين وزير الخارجية الاميركية ، وقال له: « انك على اتصال دائم بالرئيس نيكسون ، على ما أعلم ، وهذا التلفون بجانبك، خذ السماعة واطلب الرئيس الاميركي من هنا ودعني اسمع انه على استعداد لاتخاذ موقف جديد واني على الفور أعطي أمراً بتعديل قرارنا » .

وانتهى الحوار عند هذا الحد . وقيل ان كيسنجر لم يسمع ، بعد ، طوال حياته السياسية ، كلاماً صريحاً وجدياً وحاسماً مثل الكلام الذي سمعه في الرياض ، والذي يعكس موقفاً صريحاً وجدياً وحاسماً ، اتخذته المملكة العربية السعودية ومعها كل الدول النفطية العربية تجاه موقف عالمي ، واميركي بصورة خاصة ، لم يعد من الجائز تجاهله ولا السكوت عنه .

فريد ابو شهلا

ان ارتباط معركة النفط بالسياسة الفيصلية ينطوي على اهميتين كبريين. الاولى تنبع من الرأي الرصين والموقف الهاديء اللذين اشتهرت بهما سياسة الفيصل ، وهو المتربع على المسرح العربي والاسلامي والدولي منذ أكثر من نصف قرن ، بحيث يدرك العالم دائماً ان الصراحة والصدق والبعد عن النفاق السياسي هي المزايا التي تطبع أخلاق عاهل الجزيرة .

والثانية هي ان معدل الانتاج البترولي في المملكة العربية السعودية والنسبة الكبيرة التي ينعكس بها هذا الانتاج ، في مجرى استهلاك الاسواق الخارجية من اوروبية واميركية ، يجعلان الملك العربي الكبير صاحب الكلمة الاخيرة في الضغط على الدول الكبرى ، للعمل جدياً في جانب الحق العربي وجانب السلام العادل المطلوب في الشرق الاوسط .

واذا كانت تطورات الاحداث العربية ، في ربع القرن الاخير والملابسات التي أحاطت بالقضية الفلسطينية من اندلاع الحرب العربية ــ الاسرائيلية الاولى الى توقف الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة ، قد أصبحت مكشوفة امام الرأي العام العربي وبان منها الزيف والاصالة .. والدجل والاخلاص .. فان حكمة الفيصل التي عرفت كيف تستخدم السلاح العربي المناسب ، في الوقت المناسب، هي التي تقود حرب النفط حالياً ــ مع تكرار تقدير مواقف الدول العربية البترولية الاخرى ، كل بما يتناسب وحقيقة مشاعرها ودوافعها ــ وهي أيضاً ــ بعد توقف قتال الابطال ، وتوقف سيل دماء الشهداء ، وحصر الخسائر المدنية والاقتصادية الكثيرة ــ الخط الدفاعي الحاسم في دعم الجهود الديبلوماسية العربية ، على عتبة مؤتمر السلام المعروض ، والمفاوضات الشاقة التي سترافقه لاجل اقرار العالم كله ، وبالتالي اسرائيل ، بالحقوق العربية كاملة ، وفي طليعتها حق

حق الشعب الفلسطيني بأرضه .

جورج رجي

اذا كان فريق من الاقطار والاوساط العالمية قد دهش او استغرب موقف المملكة العربية السعودية بشخص رائدها الاول الملك فيصل من فتح جبهة النفط بالطريقة الجدية الفعالة التي فتحها بها ، فان ثمة اقطاراً وأوساطاً عالمية أخرى وهي الكثرة لم تدهش ولم تستغرب ، علماً منها بجدية الملك فيصل في تصرفاته وبفاعلية المقررات التي يدرسها ويتخذها وينفذها .

ولقد كان احد كبار مديري شركات النفط مصيباً في تحذيره للولايات المتحدة خاصة ، ولانصار اسرائيل الدوليين عـامة ، عندما علق عـلى تصريحات العاهل السعودي قبل شهرين بما خص استخدام سلاح الطاقة عند اللزوم اذ قال المدير المذكور : « لا تستهينوا بتصريحات الملك فيصل ، فهي جدية وهي صريحة صارمة » ! وها هي هذه التصريحات تتحول بصمت وواقعية الى أفعال بدون مزايدات أو صخب أو دعاوة ، فاذا بالقاصي والداني سواء في العالمين العربي والاسلامي ، أم القارات الخمس الاخرى ، اذا بهم جميعاً يقرون ويعترفون بأن سلاح الطاقة هذا ، كان أشد وقعاً وتأثيراً وفعالية من أشد « الصواريخ » تأثيرا ومن أقوى « الطيران » وقعا ! والواقع ان هذا السلاح ــ سلاح الطاقة ــ لم يشهره الملك فيصل في هذه الحرب بالذات وانما شهره قبل اليوم أكثر من مرة .

ومما لا شك فيه ، ان العالم اليوم على اختلاف قاراته ومواقعه ، أدرك أن سلاح الطاقة الذي تملكه العربية السعودية ، يمكن ان يكون أداة خير للعرب والعروبة وربما للانسانية جمعاء ، بقدر ما هو عامل مؤثر في حياة

الحكومات والشعوب التي تتربص شراً بالعرب والعروبة وبلدانهما في هذه المنطقة ، وغيرها من المناطق العربية والاسلامية أينما كانت وحيثما وجدت !

وعسى أن يكون هذا الموقف البطولي المجيد للعاهل السعودي ، نقطة انطلاق وتحول في دراسة مستقبل العلاقات العربية والاسلامية العالمية التي ستطرح على مؤتمرات القمة المقبلة ، وذلك لخير العرب وأقطارهم أجمعين !

سليم حباقي

في أوائل هذا الشهر طفحت الصحف بأنباء اتفاق تم توقيعه بين المملكة العربية السعودية وفرنسا ويقضي بامداد السعودية لفرنسا بـ ٨٠٠ مليون طن من النفط الخام خلال السنوات العشرين المقبلة . وقد وصف هذا الاتفاق بأنه « ابرز حدث نفطي – سياسي منذ دخول النفط العربي المعركة ضد اسرائيل » كما قيل فيه انه « سيجنب فرنسا انعكاسات أزمة الطاقة التي تواجهها الدول الاوروبية حالياً » .

ونبأ الاتفاق صدر عن مسؤولين فرنسيين أماطوا اللثام عنه أمام بعض مراسلي وكالات الانباء ، وأعطوا تفاصيل أخرى كقولهم ان فرنسا ستبيع السعودية مقابل ذلك طائرات ميراج وأسلحة ثقيلة ومعدات أخرى . كما حددوا ما ستستلمه فرنسا من النفط السعودي بأربعين مليون طن سنوياً ، وأشاروا أيضاً الى تعاون تقني على صعيد المشاريع الانمائية الاخرى .

من البدهي ان يكون لاعلان مثل هذا الاتفاق الضخم في وقت تشغل أزمة الطاقة العالم المصنّع كله ، دوي هائل في جميع الاوساط الاقتصادية

والسياسة العالمية ، ومن الطبيعي ان يوفر مادة غزيرة لتعليقات وتحليلات المراقبين السياسيين والاخصائيين الاقتصاديين .

ويكاد هؤلاء يجمعون كلهم على ان للاتفاق أهمية مزدوجة :

١ ــ من وجهة النظر النفطية البحت ، يعتبر أول اتفاق مباشر من نوعه وبضخامته، يعقد بين دولة منتجة ودولة مستهلكة،مما يشكل منعطفاً هاماً في السياسة السعودية النفطية التي قررت ، على ما يبدو ، انتهاج خطة تجاوز الشركات في مثل هذه الاتفاقات ، كما انه يسد الطريق في وجه كل محاولة محتملة لحرمان النفط السعودي (والعربي وربما الشرق أوسطي عامة) من أسواقه الطبيعية في العالم كوسيلة لارغام البلدان المنتجة على خفض أسعار نفطها او زيادة انتاجها ، وفي الوقت نفسه يحبط كل محاولة لفرض حظر على تصدير المنتجات الاستهلاكية الى البلدان التي منعت نفطها عن الدول المنحازة الى اسرائيل .

٢ ــ أما الجانب السياسي للاتفاق فلا يقل أهمية : فهو أول عملية كبرى تقوم بها الرياض مع دولة غربية غير الولايات المتحدة الاميركية ، الامر الذي يوفر للدبلوماسية السعودية هامشاً عريضاً للتحرك والمناورة في حال اضطرارها الى التصدي لمخططات غربية أخرى ربما كانت ترسم الآن لممارسة ضغط سياسي على السعودية وغيرها من البلدان العربية المنتجة من أجل حملها على تعديل سياستها المعلنة بعد حرب الشرق الأوسط الاخيرة . ولعل خطورة هذا الاتفاق في أنه قديؤدي الى انشقاق في التحالف الغربي بين الدول المؤيدة للعرب او المحايدة وبين الدول المنحازة الى اسرائيل أو المتوددة اليها .

ابراهيم الحلو

ان أنظار العالم تتجه الى الملك فيصل لمعرفة ماذا سيفعل لتنفيذ تهديداته باستخدام مصادره البترولية والمالية لخدمة القضية العربية .

النيويورك تايمز

ولاحظ جميع المتتبعين لابحاث المؤتمر العربي السادس ، اصرار الملك فيصل بن عبد العزيز على عروبة القدس ، وتؤكد جميع الأوساط العالمية ان الذي قلب الموقف كله ، وأوقع الدولتين الأعظم في الحرج الكبير الذي لم تهتديا بعد الى سبيل للخروج منه ، هو نزول سلاح البترول العربي بقيادة الفيصل ، الى المعركة .

التايم

سكتت المدافع في الشرق الاوسط ، الا ان حرباً حقيقية ما زالت مشتعلة . انها حرب النفط التي أعلنها العرب على الدول المساندة لاسرائيل . بعدما توقفت حرب المدافع العربية- الاسرائيلية ، راح العرب يشددون ضربتهم مستعملين سلاحاً جديداً ، يحاولون به نيل حقوقهم المتمثلة باستعادة الاراضي العربية المحتلة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني .

* * *

اليوم ، أكثر الملوك والرؤساء العرب حماساً لقطع النفط هو الملك فيصل ، ملك العربية السعودية . وبعد وفاة الرئيس السابق جمال عبد الناصر ، أصبح الملك فيصل أبرز الزعماء العرب مدعوماً بما لديه من بترول وأماكن مقدسة .

الصحراء السعودية تغطي المخزون العالمي من البترول . هذا المخزون يستطيع وحده تغذية جميع دول العالم بالنفط لمدة ١٥ سنة . في ايلول الماضي

كانت آبار النفط السعودية قد توصلت الى انتاج ١,٢ مليون طن يومياً .

* * *

الملك فيصل حاول جهده تجنب الحرب الاقتصادية، فوجه الى الاميركيين نداءات وتحذيرات ودعوات الى اعتماد الحكمة في سياستهم الشرق أوسطية ، لكنه لم يلاق من يسمعه . بعد ذلك أخذ التحذير السعودي يرتدي طابع الجدية . في اذار الماضي صرح وزير النفط السعودي المهذب السيد زكي اليماني: « اذا اندلعت حرب النفط ، فسبب ذلك يعود اليهم » . والضمير عائد الى الاميركيين بالدرجة الاولى .

على صعيد آخر ، اشتدت الضغوط السياسية على الولايات المتحدة الاميركية . في مطلع ايار استدعى الملك فيصل السيد فرانك جنجرز ، مدير ارامكو ، الى مكتبه ، وارامكو هي أضخم شركات النفط العالمية في الاراضي السعودية ، وقال له : « اذهب الى حكومتك واطلب منها أن تتخذ موقفاً محايداً في الشرق الاوسط » . وقامت الشركات كافة بعد هذا اللقاء بمساعي شاقة لدى الحكومة الاميركية ، لكنها لم توفق .

وجاءت الحرب العربية ـ الاسرائيلية لتدفع الملك فيصل الى الواجهة ، وكان ان أصدر قراراً بوقف ضخ النفط السعودي الى الولايات المتحدة الاميركية ، فتزعم بذلك حملة المقاطعة ، وادى نصيبه الاكبر في الحرب .

ومعلوم ان نصيب السعودية من النفط يفوق الـ ٢٤ مليون دولار يوميا .

وأصابت الضربة السعودية ، والعربية في ما بعد ، الدول الاوروبية واليابان التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد النفطي العربي .

* * *

ووقعت اوروبا بين فكي كماشة منتجي النفط العرب ، وبين الولايات المتحدة الاميركية التي جعلت من تأييدها لاسرائيل سبباً مباشراً في احكام القبضة العربية على مستهلكي النفط وفي مقدمتهم اوروبا واليابان . اوروبا أحست فجأة أن استقلالها مرتبط الى حد بعيد بالخارج .

الاكسبرس

في غمرة الانفعال الذي اجتاح العالم الغربي وهو يرى نفسه يعاني من برد الشتاء ويواجه شبح الكساد الاقتصادي ، قد يستطيع المرء أن يفهم لماذا تصاعدت الصيحات حول ما يسمى « بالابتزاز » العربي .

لكن التصميم الذي تبديه الدول العربية المنتجة للزيت ، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ، على المضي في استعمال سلاح البترول الى أقصى الحدود ، ينبغي أن يكون حافزاً كافياً للدول الغربية لكي تدرك بأن استعمال هذا السلاح ليس من قبيل الابتزاز الانتهازي ، بل بدافع الايمان بأن المرحلة المصيرية التي تمر بها الامة العربية تفرض عليها الا تدخر أي سلاح في حيازتها من أجل أن تؤمن العيش بكرامة لاجيالها القادمة .

لقد تحدث الغرب عن امكان اللجوء الى اجراءات مضادة تراوحت في تقديرات الناطقين الغربيين ، بين العقوبات الاقتصادية مثل حظر بيع المواد الغذائية والسلع الصناعية عن العالم العربي الى الاقتراحات باتخاذ اجراءات عسكرية ، وسط تلميحات سافرة عن أن العرب هم على الصعيد العسكري ، عبارة عن « غزلان في عالم من الاسود » .

وبعد أن ثبت لاعين العالم فشل مثل هذه الاساليب العديمة الجدوى في التهديد ، أصبحت النغمة التي تتردد على لسان الغربيين هي أن الدول العربية ليست بحاجة الى الاستمرار في تصعيد أزمة الزيت التي تهدد تركيب

العالم الصناعي ، وذلك بعد أن وعى العالم قضيتهم وأخذ يتحرك باتجاه البحث عن حل لها .

ان العرب ليسوا طلاب انهيار لاقتصاد العالم الذين يعرفون انهم جزء من تركيبه . لكن ماضي تعامل العرب مع العالم الخارجي لا يوحي بأن هناك مجالاً واسعاً لأتمانه وترك قضايانا المصيرية رهناً بحسن مشيئته .

ان سلاح البترول يقصد به أن يكون في الدرجة الاولى الحافز الذي يعيد الى أذهان العالم بأنه اذا كان يطمع في أن ينعم بخيرات العرب ، فليس أمامه من اختيار بديل ، الا أن يساهم في ايجاد الظروف التي تتيح المجال لمثل هذا التبادل . أما ان الثمر لطرف والشوك لطرف آخر ، فهذا أمر لم يعد العرب يقبلونه بأي شكل من الاشكال .

مجلة « اليمامة »

عندما تكون أسباب الحرب واهدافها ونتائجها مبهمة ، يصعب معرفة علاقة النفط بهذه الحرب . فبينما كان منتجو النفط يتباحثون ، في جو من الود في فيينا ، كانت تجري في العراق عمليات تأميم ، وفي سيناء عمليات نسف لانابيب البترول ، وفي الكويت دعوة لعقد اجتماع تبحث فيه كيفية اللجوء الى استخدام النفط كسلاح في المعركة .

ان هذا الوضع يتضمن ما هو عميق جداً بالنسبة للازمة الحالية والى مصير اسرائيل ومستقبل العالم. هذا الوضع نتج عن شيئين : اولا أزمة الطاقة ودور الدول العربية فيها ، وثانياً الاستقلال السياسي المتزايد للعرب . لقد اعطى هذا الاستقلال العرب حرية التصرف « للضغط » بسبب ما يملكون من احتياطي البترول ، كما أضفى صبغة معينة على مواقفهم ازاء مشكلاتهم ومشكلات العالم .

قليلون جداً هم الذين توقعوا في العام ١٩٦٧ ان يكون للعرب تأثير في المستقبل كما هو ظاهر الآن . كيف سيكون الحال بعد ستة أعوام أخرى ؟ ستكون الدول العربية موجودة وكذلك احتياطي البترول . ولكن هل سيرتفع شأن العرب او ثمن البترول ؟ ان أي دولة او حكومة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار مسائل طويلة المدى كهذه وليس الانتصارات المؤقتة .

الهيرالد تريبيون

بوسعنا لو توافرت لنا رؤى التخطيط البعيد، ان نترجم الرغبة الاوروبية في الانفتاح على العرب الى طاقة اندفاع في خدمة مصالحنا القومية .

فتوظيف الاهتمام الاوروبي لخدمة قضايانا لا يكلفنا غير افهام أهل القارة الاكثر عراقة في تاريخ الحضارة والتطور ، بأنهم لا يشكلون لنا الا التكامل الطبيعي لمسيرة تطورنا لو التزموا بجادة الموضوعية في تعامل الانداد معنا، وسلموا بأننا نشكل زخم مقومات التطور كلها التي يحتاجها العالم حتى مطالع الربع الاول من القرن الجديد .

فلو تأتى لنا ان نفرد لمواردنا وطاقاتنا المتوافرة ولمؤشرات غدنا الامدية المناسبة لها في استراتيجيتنا السياسية والاقتصادية معا ، لسهل على اوروبا فهم ما نمثل ، ولظهرت لها بعد ذلك أهمية ما يمكن أن تجنيه من اندفاعها في التعامل مع العرب والوقوف الى جانب قضاياهم كل قضاياهم .

ما من شك أنه بامكاننا لحظ مثل هذه المقومات في خططنا التي نعتمد لتحركنا في العالم ، وما من شك كذلك في أنه عندنا من الخبراء من يمكنهم يترجموا فعالياتنا الى مرتكزات اهتمام العالم كل العالم ، وان يظهروا لاوروبا على الاقل انها عبر تعاونها مع العرب لقادرة على أن تنهض من كبوة الركود والتململ التي تعاني لتضحي القوة التي تنشد ، وان شوط

التعامل معنا يمكنه ان يدفع بالتطور العالمي الى الامام بعد أن نجتاز نحن عتبات تطورنا الذي نروم .

فثمة خبراء بيننا يؤكدون قدرتنا على بلوغ مراتب التطور في آفاق عام ١٩٧٩ لو قام بيننا وبين اوروبا تعاون جاد ، ويؤكدون في الوقت ذاته قدرة أوروبا على اجتياز ما تخشاه لو عملت على توسيع رؤيا النافذة الشرق اوسطية .

انه اذا كان بوسعنا فعلا اثبات ما يدعيه الخبراء ، وفي مقدورنا رسم استراتيجية ذكية لتعاملنا مع القارة الاوروبية ، فان اوروبا لا يمكنها غير الرضوخ لارادتنا ، ولن يكون بعيداً بعد ذلك موعدنا مع التاريخ الذي نشتهي صنعه .

« الحياة »

أكثر ما يشد الانتباه في زيارة جوبير للسعودية هو اعطاء صورة تختلف تماماً عما كان سائداً في الماضي ، وتثبت للجميع مدى استقلالية السياسة العربية ، وعدم ارتباطها بأي من الجهات ، الا على أساس الموقف من قضية فلسطين والاحترام المتبادل .

فبعد حظر تصدير النفط الى الدول المتعاطفة مع العدو ، وموقف السعودية الواضح والشجاع من ذلك هو الذي يظهر ايجابية الموقف العربي وعدم ارتباطه بأي من الجهات ، وانما يقوم على أسس منطقية استقلالية ، وبما يحفظ سيادة الدول العربية عامة ، ولقد هدد السيد أحمد اليماني وزير النفط السعودي بنسف آبار البترول اذا حصل تدخل اميركي ثم فعلت الكويت نفس الشيء .

اذن لم تعد اميركا ولن تكون صاحبة نفوذ في المنطقة ، فالقوى العربية

« ... لقد ألزمنا أنفسنا بالقيام بدور فعال في المساعدة على تحقيق سلام عادل دائم في الشرق الأوسط على أساس تنفيذ كامل لقراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ . والخطوة الأولى في هذه العملية هي فصل القوات المصرية والاسرائيلية الذي يتم الآن » .

فهل سيعتبر الملك ما قاله الرئيس نيكسون كافياً لرفع الحظر ؟

ميشال ابو جودة

ان منتجي النفط في الشرق الأوسط ربما كانوا يجلسون على قمة العالم المتعطش للطاقة الآن ، لكنهم يدركون كم يمكن أن يكون مركزهم متقلقلا . ويلاحظ وزير التصميم العربي السعودي هشام ناظر : « النفط مورد قابل للاستنفاد ، وهو المورد الوحيد لدينا حالياً . فعلينا ان نخطط بمنتهى الحذر والحكمة ، لانني لا أعتقد ان الكثيرين سيقولون لنا « مرحبا » عندما ينفد النفط — وتنفد معه الدولارات » .

ان العرب يرون أن بامكانهم تجنب ذاك السيناريو الموحش عن طريق القيام ببرنامج تصنيع ضخم ، من شأنه تنويع اقتصادات أمم شمال افريقيا والخليج العربي النامية . ومما لا ريب فيه ان لديهم موارد الطاقة لذلك ، والمال ليس مشكلة . ولكنهم يفتقرون الى التكنولوجيا والايدي العاملة الماهرة التي يتطلبها الاقتصاد المصنع ، وهم يتطلعون الى الغرب لتلبية هذه المتطلبات .

ان التجاوب كان غامراً ، فالمسؤولون التجاريون والصناعيون من اليابان وفرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا والولايات المتحدة يتبعون بعضهم البعض عبر الشرق الأوسط عارضين مقترحات المشاريع المشتركة وصفقات الانماء التي يبلغ مجموعها بلايين الدولارات . ولا يقومون بجهودهم هذه بدافع الايثار أو حب الغير ، بالطبع . لكن رجال الاعمال الغربيين لا يتوقعون ارباحاً ضخمة أيضاً . بل هم يستجيبون لشعور أساسي أكثر بالمصلحة

تعرف واجبها تماماً ، وهي لم تكن يوماً الا صانعة حرية وصاحبة سيادة مطلقة على أرضها لا تميل ولا تنحاز ،وكان لموقف السعودية بقيادة الملك فيصل أثر بارز في ذلك على الصعيد الدولي .

صوت العروبة

ان مؤتمر واشنطن للدول الصناعية المستهلكة للبترول قد أسفر حتى الآن عن نتائج ربما فاقت في ايجابيتها بالنسبة للعرب أكثر التقديرات أو التوقعات تفاؤلاً واستبشاراً ... فقد لوحظ من البيانات التي القيت في المؤتمر ان هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركية على الرغم من كل المحاولات التي بذلها لاستبعاد فكرة انفراد الدول المستهلكة بقرارات او خطوات ربما اعتبرتها الدول المنتجة نوعاً من المواجهة او المجابهة ، فقد أبت الحكومات الاوروبية ، وعلى رأسها فرنسا الا ان تسدد الى مؤتمر واشطن ضربة مميتة ، وذلك لكي يقضي على كل شك في احتمال اقدام دول اوروبا الغربية على أي نوع من أنواع المعالجة لازمة الطاقة الا اذا كان ذلك بالاشتراك والتعاون مع الدول العربية المنتجة .

كريم

سياسياً الرئيس السادات على الأرجح ، والرئيس المصري لم يكتم ذلك بل دعا علانية الى رفع الحظر .

ونفطياً لا يمكن الا التفكير بالملك فيصل . ولكن الملك ، كما أصبح معروفاً ، لم يرحب كثيراً بدعوة رفع الحظر التي وجهها الرئيس السادات . ذلك لانه كان قد أبلغ الدكتور كيسنجر انه لن يرفع الحظر الا اذا تعهد الرئيس نيكسون شخصياً بتنفيذ قرارات الامم المتحدة وخاصة القرار ٢٤٢ على أساس الانسحاب الكامل بما في ذلك القدس ...

فهل هذا ما أعلنه ـ أخيراً ـ الرئيس الاميركي ؟ وهل ان حرفيته تعبر عن نفسها ؟ انه يقول :

الذاتية : فقد ربط منتجو النفط في الشرق الأوسط تيسر وجـــود نفطهم بكمية المساعدة التي يعطيها الغرب لهم في انماء اقتصاياداتهم .

ان العرب أداروا الضغط النفطي بمنتهى البراعة لمنفعتهم الاقتصادية البعيدة المدى ، بحيث ان الكثيرين يتساءلون الآن عما كانته الاولية العربية في الاصل حينما قرروا تقييد تدفق النفط بعد حرب تشرين : السياسة أم الاقتصاد .

وفي أية حال ، فان الامم المستهلكة للنفط تتدافـع وتتزاحم لعقد الصفقات مع العرب خوفاً من أن تترك بلا نفط . ويبدو انها تبنت موقف « الشاطر بشطارته » ، غير مستعدة للانتظار والتأكد مما اذا كان بامكانها تطوير سياسة مشتركة في المؤتمر الذي دعا اليه الرئيس نيكسون في واشنطن الشهر القادم .

ان هذا كله يمثل أعظم تحول يمكن تصوره عما كان عليه الامر لسنة خلت ، عندما كانت الدول الغربية تتمنع عن القيام بمشاريع الانماء في الدول العربية .

ان ممثل شركة توظيف مالي اميركية كبيرة في الشرق الأوسط قال ان المطالب العربية تنقسم الى فئات ثلاث على ما يبدو : انماء صناعة بتروكيميائية ، زيادة الانتاج الزراعي ، و « تصنيـــع يعزز الاعتبار » ويلتهم الاموال ، كصناعة الصلب والسيارات والطائرات .

أن المنافسة شديدة بين الدول الغربية لبناء المصانع والمنشآت الاخرى للعرب ، وتبدو فرنسا واليابان في الطليعة . أما الولايات المتحدة فهي متخلفة بعيداً وراءهما . ويبدو ان الشرق الأوسط مهيأ للثورة الصناعية الاكثر اذهالا التي شهدها العالم في الربع القرن الاخير .

نيوزويك

فهرس

النفط في معركة الكرامة العربية ١٠٣

حرب رمضان وأبعادها الدولية – كان سلاح النفط احد العناصر الأساسية في الاستراتيجية العربية – استعمال النفط لم يكن انتقاماً من الشعوب بل تذكيراً للحكومات – فيصل ينتقل من التحذير إلى الانذار – ليس هناك من حاجز عازل بين السياسة السياسة والاقتصاد – وقال الملك كلمته – اميركا مصدر قوة اسرائيل وغطرستها وعدوانها – النفط أقوى من السلاح الذري وأبعد خطراً – توقف اطلاق النار واستمرت معركة النفط – التخفيض مستمر والمقاطعة مستمرة – لن نضحي بحياتنا في سبيل مكسب اقتصادي – جدول زمني للمقاطعة مقابل جدول زمني للانسحاب – المملكة السعودية مفتاح القوة النفطية – السعودية ثابتة في موقفها ومستعدة لتحمل نتائجه – اوربا الغربية تتخلى عن اميركا وتلتزم جانب العرب – منعطف جديد في السياسة البترولية السعودية – العرب لا ينسون : لا الخير ولا الشر – في سبيل كتلة عربية اوربية ترفض سيادة العملاقين – النفط العربي لبناء استراتيجية عالمية جديدة .

رجل عام ١٩٧٣ ١٤١

شهادات حق في مواقف الحق .

كتب للمؤلف

سعد زغلول ، رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي — منشورات دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

ابراهيم لنكولن ، محرر العبيد وموحد الولايات الاميركية — دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

مدحت باشا ، ابو الدستور العثماني — دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

روبسبيير ، بطل الثورة الفرنسية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

جمال الدين الأفغاني ، حكيم الشرق ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

شوبان ، نشيد الوطنية والحرية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

صلاح الدين الأيوبي ، قصة الحروب الصليبية في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد — دار الكاتب العربي ، الطبعة الرابعة .

كرومويل ، بطل الثورة الانكليزية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

ابو ذر الغفاري ، اول ثائر في الاسلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

ديموستين ، بطل اثينا ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

محمد عبده ، بطل الثورة الفكرية في الإسلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

غاندي ، ابو الهند ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة .

سون يات سن ، بطل الثورة الصينية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

السابقون، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .
الحضارة العربية ، دار الفجر الجديد ، القاهرة .
حرب الشعوب ، منشورات مجلة الطريق .
الحياة القومية ، منشورات مجلة الطريق .
أقوى من الموت ، عن ايليا اهرنبورغ ، منشورات مجلة الطريق .
أساطير الأمم ، دار المكشوف .
في قصور الملوك، دار المكشوف .
الناس والآخرون ، دار المكشوف .
اعتراف الأجراس ، دار النشر العربية .
الف ليلة وليلة ، (مجلدان) ، دار النشر العربية .
قلوب معذبة ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، القاهرة .
عبد الرحمن الكواكبي ، المكتب التجاري .
لومومبا ، دار الكاتب العربي ودار العلم للملايين .
اكتشاف جزيرة العرب ، عن جاكلين بيرين ، دار الكاتب العربي .
اضواء على تاريخ الكويت ، دار الكاتب العربي .
الكويت في موكب الحضارة ، دار الكاتب العربي .
الخليج العربي ، دار الكاتب العربي .
وثائق النكسة ، دار الكاتب العربي .
السندباد ، دار الكاتب العربي .
فلسطين اولاً ، دار الكاتب العربي .
نحو مجتمع عربي متكامل ، دار الكاتب العربي .
جيل الفداء ، قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب ، دار الكاتب العربي .

تشيكوسلوفاكية وأزمة الاشتراكية المعاصرة ، دار الكاتب العربي .

تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، الطبعة الثانية، دار الكاتب العربي .

موعد مع الشجاعة ، دار الكاتب العربي .

موعد مع الكرامة ، دار الكاتب العربي .

مناقشة آراء العلماء والقادة السوفيات ، دار الكاتب العربي .

اسرار العالم ، ٢٠ جزءاً .

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع بيبلوس الحديثة
في الثاني والعشرين من محرم ١٣٩٤
الموافق ١٤ شباط ــ فبراير ١٩٧٤